الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي نور البشير البيض
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الرحلات الاستكشافية في صحراء الجزائر ما بين التنصير والجوسسة 1850-1916

"شارل دو فوكو نموذجاً "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر تخصص المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعداد الطالبة:
قروج مسعودة

إشراف الأستاذ:
دين قادة

لجنة المناقشة:

د. سايح دين	المركز الجامعي نور البشير البيض	رئيسا
د. دين قادة	المركز الجامعي نور البشير البيض	مشرفا ومقررا
د.شاطو محمد	المركز الجامعي نور البشير البيض	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1445-1446هـ/2024-2025م


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وعرفان

أشكر الله الوهاب الرزاق الذي منّ علي وأعانني ويسّر لي مشوار الدراسة الجامعية ووفقني إلى اتمامه.

أقدم شكري وجزيل امتناني للأستاذ المشرف قادة دين نظير دعمه وتوجيهاته ونصائحه التي رغم ارتباطاته ومشاغله لم يبخل علّى بكل ما كنت في حاجة إليه لإنجاز هاته المذكرة، من مصادر ومراجع ومعلومات ومن متابعة وتقييم وتقويم، بداية بتفضّله وتكرّمه علّى بقبول الاشراف على الموضوع الذي اخترته، إلى غاية آخر لحظة من عمر هذا المشوار الذي برغم المشقة التي كابدتها خلاله خاصة و أننا كنا في سباق مع الوقت، ولكن بفضل الله وعونه وبفضل متابعة الأستاذ ودعمه وحرصه كنا في الموعد.

- اشكر كذلك كل طاقم وكوادر قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية وخاصة شعبة التاريخ واخصّ بالذكر الأساتذة الذين ر افقونا طيلة سنوات الدراسة ولم يبخلوا علينا باي شيء ولهم الفضل من بعد الله سبحانه وتعالى فيما وصلنا اليه فالشكر موصول لجميع اساتذتنا الكرام دون استثناء مع تمنياتنا لهم بموفور الصحة والعافية والنجاحات المتواصلة.

- الشكر كذلك موصول لكل من علّمني من الاحياء في الابتدائي والمتوسط والثانوي والمعهد التكنولوجي والرحمة والمغفرة لمن توفاه الله الى جواره.

- كما لا أنسي تلميذي نواري منصور الموظف بالمكتبة المركزية للولاية والذي سهّل لي الحصول على المراجع التي كنت بحاجة اليها لإنجاز المذكرة.

- إضافة الى ذلك أشكر زملائي الطلبة الذين درست معهم طيلة هذا المشوار وخاصة مرحلة الماستر على احترامهم لي وعلى المعاملة الحسنة والجو الأخوي الذي ميّز علاقتنا و أتمنى من الله أن يحفظهم ويوفقهم في حياتهم.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح والديّ، اللذين أرجو من العلي القدير أن يرحمهما رحمة تسع السماوات والأرض وما بينهما ويجعل مثواهما جنة الفردوس مع الصديقين والصالحين.

إلى روح جدّتي التي أطلب من الله أن يجازيها بما يجازي به كافل اليتيم و أكثر، وبما وعد به نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وأن يجعل تضحياتها وتربيتها لنا ثقلا في ميزان حسناتها.

إلى قرة عيني وروح روحي الغالية الجوهرة فيروزة وإلى أبنائي ياسين وأمين.

إلى أختي الزهراء و أبنائها مروة ولقمان وأمينة وعبد المجيب

مقـــدمة:

أدت الكشوفات الجغرافية التي قادتها الدول الأوروبية الى التعرف على سواحل إفريقيا خاصة الغربية منها، غير أن بداية الثورة الصناعية وتزايد النشاط الاقتصادي للدول الكبرى وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا، جعلهما يهتمان بالتعرف على الدواخل المجهولة للقارة الإفريقية، فركزت فرنسا اهتمامها على الصحراء الكبرى، بدراسة ما كتبه حولها الرحالة القدامى من الإغريق، وما سجله المسلمون عنها من معلومات طبيعية واقتصادية واجتماعية وسياسية، إضافة إلى كتابات الأوروبيين الحديثة، فانطلق المستكشفون الفرنسيون متحفزين للتعرف عليها وكشف خباياها وأسرارها، وفي ذلك السبيل سخرت فرنسا إمكانياتها المادية والبشرية والعسكرية، والهدف كله بسط نفوذها على المنطقة وربطها بغرب إفريقيا للوقوف في وجه المنافسة البريطانية.

أهمية الموضوع:

يكتسي الموضوع أهمية بالغة انطلاقا من أهمية الصحراء، وخاصة في الوقت الحالي كونه يغطي أحداثاً لها تأثيرات كبرى سواء بالنسبة للجزائر أو المنطقة المغاربية أو وسط وغرب إفريقيا، ولفهم التحولات الحالية بالمنطقة لابد من الرجوع لهذه الفترة كونها تفسر الكثير من الأحداث وتساعد على فهم ما تشهده المنطقة من تداعيات سياسية وعسكرية واقتصادية.

دوافع اختيار الموضوع:

انطلاقاً من مقولة التاريخ يعيد نفسه، وما تشهده منطقة الساحل الإفريقي من أحداث توحي بعودة التنافس العالمي على منطقة الصحراء الكبرى وما سينجر عن ذلك من تأثيرات عليها وعلى جنوب الجزائر باعتباره جزءً لا يتجزأ من الصحراء، دفعت إلى اختيار الموضوع الذي يخص الرحلات الاستكشافية الفرنسية بالصحراء الجزائرية، وقد شملت حدود الدراسة الفترة ما بين سنوات 1850 و1916م، وهي فترة مهمة من تاريخ الجزائر تغطي أحداثاً سياسية وعسكرية واقتصادية متشابكة ما بين فرنسا والجزائر، وفي شمال وغرب إفريقيا، وصولا إلى الحرب العالمية الأولى وتأثيرها بالمناطق الصحراوية، وخاصة على الحدود الجزائرية الجنوبية والشرقية الليبية، التي كانت مسرحاً للقوى المتصارعة

وعلاقة ذلك بالمقاومة السنوسية التي تواجدت بالمنطقة المذكورة، وكانت إحدى النتائج هي الدور الذي لعبه بالمنطقة الراهب شارل دو فوكو.

الإشكالية الرئيسة:

تتمحور إشكالية الموضوع حول دور الرحلات الاستكشافية والتنصير في المشروع الاحتلالي الفرنسي بالجنوب الجزائري؟ أو توسع الإمبراطورية الفرنسية بالصحراء الجزائرية والوسائل الموظفة في ذلك؟

الإشكاليات الفرعية:

للإجابة على الإشكالية الرئيسية نطرح التساؤلات التالية:

- ما حقيقة الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية؟
- كيف استفاد الأوروبيون من كتابات الرحالة العرب والمسلمون؟
- ما مدى التنافس الأوروبي خاصةً البريطاني الفرنسي على الصحراء الكبرى؟
- ماهي أهم البعثات الاستكشافية الفرنسية بالصحراء الجزائرية؟
- فيما تمثل رد فعل السكان المحليين منها؟
- ماهي أهم الوسائل التي سخرتها السلطة الفرنسية لأجل ذلك؟
- ما دور الرحلات التبشيرية التي منها رحلة المبشر شارل دو فوكو في تحقيق وتجسيد المشروع الفرنسي؟
- كيف كانت رحلاته بشمال افريقيا والجزائر؟
- ماهي الأهداف التي كانت ترمي إليها رحلاته، وما علاقة رحلاته بالجوسسة والتبشير؟

خطة العمل

تبعاً للإشكالية قُسم الموضوع الى مدخل وفصلين كما يأتي:

مدخل تمهيدي بعنوان: الصحراء الجزائرية والاهتمام الأوروبي.

احتوى على تعريف بالصحراء الكبرى، ثم تحديد للصحراء الجزائرية، مساحتها وخصائصها وأقسامها الطبيعية وأهم الطرق التجارية بها وأهم القوافل، التي تسير عبرها والسلع والبضائع التي كانت تحملها وتبادلها، وكذلك اتجاهاتها، وأيضا تنظيم القوافل وادارتها، والمشاكل التي كانت تواجهها والإجراءات التي كانت تتخذها لمواجهة تلك المشاكل والمخاطر.

الفصل الأول: الحملات الفرنسية على الصحراء الجزائرية.

تضمن هذا الفصل أسباب ودوافع الحملات الفرنسية على الجنوب الجزائري وأهم رواد تلك الحملات وخط سير حملاتهم، وأهداف كل حملة والظروف المحيطة بها وأسباب نجاحها أو فشلها والعوامل المتدخلة في ذلك والنتائج المترتبة عنها، وفي الأخير موقف السكان المحليين منها سواء ما جسده موقف الرافضين لتلك الحملات والذين اتخذوا أسلوب المواجهة للتعبير عن موقفهم أو المتعاونين الذين قدموا للرحالة والمستكشفين كل الدعم والمساعدة وسهّلوا لهم مهمتهم.

الفصل الثاني: رحلات شارل دو فوكو بالصحراء الجزائرية 1905-1916م.

تم التطرق في هذا الفصل إلى التعريف بشخصية شارل دو فوكو، بالحديث عن مولده ونشأته وتكوينه التعليمي والعسكري ثم رحلاته الاستكشافية بالمشرق والمغرب الأقصى، والتي توّجها بتصنيف مؤلفه الشهير "التعرف على المغرب 1883-1884م"، هذا المؤلف الذي أصبح فيما بعد مرجعاً للسلطات الفرنسية وللعسكريين، والذي كان له دوراً هاماً في تنفيذ مشروع احتلال المغرب الأقصى، وتضمن هذا الفصل أيضاً أهم رحلات شارل دو فوكو بالصحراء الجزائرية، خاصة رحلته إلى بني عباس القريبة من الحدود المغربية، التي كان يحظى فيها بزيارة أصدقائه العسكريين خاصة مثل الماريشال "ليوتي"

والجنرال "لا برين"، وحيث بدأ من هناك تنفيذ مشروعه التنصيري المتخفي تحت غطاء الخدمات الإنسانية والطبية، ثم رحلته الثانية إلى منطقة تامنغست والتي قرر الإقامة الدائمة فيها تحت طلب وإلحاح صديقه "لا برين"، ولنفس الأهداف وبنفس الأساليب ولكن بنظرة أبعد، كون المنطقة تتمتع بخصوصيات استراتيجية عميقة بالنسبة للمشاريع الأكثر أهمية لفرنسا، حيث زاوج خلالها بين أسلوبي الجوسسة و التبشير.

- الدراسات السابقة:

من بين الدراسات التي تناولت الموضوع هناك رسالة ماجبستير بعنوان "الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وإفريقيا الغربية ما بين 1850-1945م، لسميرة دعاشي من جامعة غرداية، منجزة خلال الموسم الجامعي 2014-2015، وقد أفادني هذا العمل كثيراً خاصةً فيما تعلق بالقوافل التجارية وطرقها، والمشاريع الفرنسية بالصحراء الجزائرية، كما سهّل على الوصول إلى أهم المصادر التي لها علاقة بالموضوع.

كذلك رسالة دكتوره في التاريخ الحديث والمعاصر بعنوان "السياسة الإسلامية الفرنسية في الجزائر 1870-1914م"، لحميد قريتلي من جامعة الجزائر 2، بالسنة الجامعية 2019-2020 والتي وفرت لي الكثير من المعلومات عن التنصير ودوره في السياسة الاستعمارية الفرنسية.

نقد المصادر والمراجع:

بالنسبة للمصادر المتعلقة بالموضوع ففي معظمها أجنبية وخاصة الفرنسية وأهمها كتاب:

"Charles De Foucauld, explorateur du Maroc ermite Au Sahara"

للمؤلف ريني بازين (Rene Bazin)، الصادر بباريس عام 1921م أي بعد خمس سنوات من مقتل دوفوكو، وهو مصدر أساسي، اعتمدت عليه ويضم كل ما له علاقة بحياة الأب شارل دو فوكو من يوم مولده إلى غاية مقتله، وما صاحب ذلك من أحداث هامة سواء في حياة الراهب دو فوكو أو

بالنسبة لشمال افريقيا والصحراء الجزائرية، خاصة الأحداث التي سجلها الراهب وكتب عنها في إطار مهمتيه التنصيرية والتجسسية، وهو مصدر هام يؤرخ لأحداث مشتركة بين دول المغرب العربي وخاصة المغرب الأقصى والجزائر، وإفريقيا الغربية التي كان يغطيها المشروع الفرنسي، وهو مدعم بصورة للأب دو فوكو وخريطة بيان خط سير رحلته بالمغرب الأقصى، ويوضح الكتاب أهمية منطقة الهقار من جميع النواحي وكونها أساس وركيزة نجاح وتجسيد حلم الفرنسيين في بناء إمبراطورية فرنسية إفريقية.

وهناك كتاب "L'exploration Du Sahara لمؤلفه Paul Vuillot وهو مصدر مهم غني جداً بكل ما يحتاجه الباحث عن رواد الحملات الاستكشافية، والشيء الأهم فيه أنه يحتوي على عدد كبير من الخرائط الهامة الخاصة بكل بعثة والموثقة مباشرة، والملاحظ أنها غير مرقمة كما يظهر في الملاحق، حيث كل خريطة موجودة على حدة بين كل صفحتين متتاليتين.

وهناك كتاب الحسن الوزان وصف إفريقيا وكتاب تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي للتعريف بأهم المدن الصحراوية ودورها التاريخي، وكتاب الصحراء الجزائرية لدوماس، الذي يعد مصدرا مهما عن الجزائر خاصة في فترة ما بعد مقاومة الأمير عبد، فهو حوصلة ثقافية اجتماعية اقتصادية استخباراتية عن رحلته إلى المناطق الصحراوية وخاصة القصور في إطار مهمة نبهت جنرالات فرنسا لخطط القضاء على المقاومة، غير أنه لم يكن مدعماً بالخرائط، وهذا طبعا إضافة إلى كتاب التعرف على المغرب 1883-1884م لشارل دو فوكو نفسه، والذي ترجمه المختار بالعربي والذي استثمرت معلوماته في الفصل الثاني، فيما تعلق بالرحلات، ويعتبر مصدراً هاماً أرّخ لأوضاع المغرب الأقصى وسجّل وصفاً شاملاً لجغرافيتها، مدعماً برسومات توضيحية رغم بساطتها الاّ انها تتميز بالدقة وتدل على مؤهلات شارل دو فوكو العلمية.

وبالنسبة للمراجع العربية فقد اعتمدت على مجموعة من المراجع أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله الذي وفر لي معلومات هامة خدمتني في الفصل الثاني حول بالبشير والتنصير، وكتاب الصحراء الكبرى وشواطئها لإسماعيل العربي، الصادر سنة

1983م، والذي ألّم فيه صاحبه بالموضوع بشكل كبير، وقد استفدت منه في التعريف بالصحراء الكبرى ومعرفة مناطقها وأقسامها وتكوينها الطبيعي، إضافة إلى أهم الرحالة والمستكشفين وحتى رواد الحركة التبشيرية ومنهم الراهب دو فوكو، وأيضاً كتاب تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين، ومصنف الاستعمار الأوروبي الحديث في افريقيا وآسيا وجزر المحيطات ليحي بوعزيز، والذي اعتمدت عليه خاصة في معرفة أهم طرق القوافل التجارية التي كانت معروفة بالصحراء الجزائرية ومسالكها الواصلة إلى أطراف بلاد المغرب الإسلامي وافريقيا، وكذلك مؤلفه ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين، الذي احتوى كم هائل من المعلومات خاصة ما تعلق بالرحلات المشاريع الفرنسية الضخمة التي شدت انتباه الفرنسيين كمشروع السكة الحديدي ومشروع البحر الداخلي، إضافة الى كتاب توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912 لإبراهيم مياسي، والذي تطرق لأهم الحملات الفرنسية مثل الحملة التي قادها الرائد "كولونيو" والملازم "بوران" ضمن القافلة الضخمة المنطلقة سنة 1860م من دائرة البيض والتي فشلت بسبب رفض سكان القصور وواحات قورارة و تيميمون استقبالها، وأيضا كتابه الثاني مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، الذي أفادني في معرفة أهم الطرق التجارية واتجاهاتها وأهم الرحلات التي سلكت مساراتها، و كتاب السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916م، لعميراوي احميدة وكتب أخرى وجهتني لما كنت أبحث عنه.

المنهج المتبع:

كون الموضع يغطي فترة مهمة من تاريخ الجزائر حافلة بمختلف الأحداث المترابطة، فرض اتباع المنهج التاريخي، الذي من خلاله تم بناء الموضوع وفق أحداث كرونولوجية ركزت خاصة على تتابع وتوالي الرحلات والبعثات وارتباطها وتأثرها بأهم الأحداث الداخلية والخارجية وكذلك المرحلتين الأساسيتين في مهمة الراهب دو فوكو، بداية بتواجده ببني عباس ثم رحيله إلى منطقة الهقار، بتوظيف أسلوب السرد ولم يخلو الموضوع من التحليل والتعمق في دراسة الأحداث، مثل ما كان في أسباب

اهتمام فرنسا بالصحراء الجزائرية ودوافع الرحلات وموقف السكان المحليين منها وأهداف دوفوكو في بني عباس وفي منطقة الهقار وظروف اغتياله.

-الصعوبات والعوائق:

أهم عائق واجهني أثناء انجاز هذا العمل المتواضع هو عدم تمكني من زيارة مواقع الأحداث بمنطقة الهقار، حيث كانت إقامة الراهب دو فوكو وكذلك المكان المدفون فيه هو وصديقه لابرين لتكون الاستفادة مباشرة.

مدخل:

الصحراء الجزائرية والاهتمام الأوروبي

أولا: تعريف الصحراء الكبرى

ثانيا: الاهتمام الأوروبي بالصحراء

ثالثا: الطرق التجارية بالصحراء الجزائرية

رابعا: الأسواق والقوافل بالصحراء الجزائرية

خامسا: أهم البعثات الأوروبية في الصحراء

أولا: تعريف الصحراء الكبرى:

عرفها الزبيدي[1] في كتابه "تاج العروس"، على أنها "الأرض مستوية في لين وغلظ، دون القفّ"[2]، والقف ما ارتفع من الأرض وصلبت حجارته، وعرفها آخرون على أنها الفضاء الفسيح، المتسع، وقال عنها ابن شميل[3]: "إنها بالنسبة للأرض تشبه ظهر الدابة المجرد"، أي أنها ملساء لا تحتوي على شجر ولا مرتفعات[4]، والجمع صحراوات وصحار كما ذكره ابن سيده[5] في مصنفه، وأضاف هي الفضاء الواسع الذي لا نبات فيه[6]، أما الجوهري فذكر صحاري، وصحراوات، والصحراء في أصلها كلمة عربية تشير الى الأرض الجدباء، وتعني لهم أيضا أرضا شاسعة، مستوية، خالية من النبات، يطغى عليها اللونين الرمادي والبني، وقد أشار اليعقوبي أن الصحراء كانت تعني المكان الذي يدفن فيه الموتى (الأرض)[7].

- **الصحراء الكبرى:**

تعد أكبر صحراء في العالم، حدها الشرقي البحر الأحمر والمحيط الأطلسي غربا، وتمتد ما بين شمال إفريقيا الى أرض السودان جنوبا[8]، وتمتد الصحراء، من موريتانيا غربا الى النيل بالسودان شرقا على امتداد 4000 كيلومتر، ومن الأطلس الصحراوي شمالا إلى تمبوكتو جنوبا على مسافة 1200 كيلومتر[9]، وجاء

---

[1] – محمد بن عبد الرزاق المرتضى الحسيني الزبيدي اليماني (1145 –1205 هـ)، لغوي ومحدث وعالم بالرجال والأنساب، له مصنف تاج العروس. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط: 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج: 7، ص: 70.

[2] – محمد مرتضى الزبيدي، **تاج العروس**، تحقيق: علي هلالي، ط: 02، مطبعة حكومة الكويت، 1978، ج: 12، ص: 286.

[3] – أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم المازني التميمي البصري، (122–203 هـ)، قاض ولغوي ومحدث وفقيه. الزركلي، المرجع السابق، ج: 08، ص: 33.

[4] –إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 13.

[5]– أبو الحسن علي بن إسماعيل والمعروف بابن سيده المرسيّ (398– 458هـ) لغوي أندلسي، وهو صاحب كتاب "المحكم والمحيط الأعظم". الزركلي، المرجع السابق، ج: 4، ص: 263.

[6] – أبو الحسن بن سيده المرسي، **الحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج: 03، ص: 146.

[7] – جورج غيرستر، **الصحراء الكبرى ارض الغد المشرقة للجزائر العربية**، تر: خيري حماد، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ص: 9.

[8] –إسماعيل العربي، نفسه، ص: 13.

[9] –ريمون فيرو، **الصحراء الكبرى**، تر: جمال الدين الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963، ص: 19.

في مقدمة ابن خلدون" تمتد صحراء نستر من الغرب الى الشرق فيها مسالك يعبرها التجار وهي تربط بلاد المغرب ببلاد السودان، وفيها يستقر الملثمون من صنهاجة"[1].

ويتميز جنوبها والى الشرق منه، بين ليبيا ومصر بالانخفاض على مستوى سطح البحر في حين ترتفع جبال تبستي والهقار ما بين ال3 آلاف وال 4 آلاف متر، عن مستوى سطح البحر، تتخلل ذلك مجموعة من الهضاب، والجبال منها البركانية، وهذه الجبال تمتد من الشرق الى الغرب مثلها مثل جبال الطاسيلي، وما تتميز به الصحراء من القفر سببه بالدرجة الأولى طبيعة المناخ وخصوصا التساقط الذي على قلته يتعرض للتبخر[2]، وتشمل الصحراء الكبرى الإفريقية، مجموعة من الدول هي مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى والسودان وتشاد والنيجر ومالي والصحراء الغربية وموريتانيا[3].

- **الصحراء الجزائرية:**

هي جزء من الصحراء الكبرى، غير مرتفعة عن سطح البحر، فالجهة الشرقية الى بسكرة ترتفع بخمسة وسبعين مترا عن سطح البحر والتي تبدأ من الساحل وتصل الى ارتفاع 1083 مترا بباتنة، وبهذه المنطقة يقع خط الماء الفاصل، أما الجهة الغربية جنوب وهران وتلمسان والتي تمتد ما بين خط الطوْل 32° ودائرة العرض 29°، حيث مرتفع بأتن، وفيه يوجد خط الماء الفاصل[4].

يقع الجنوب الجزائري ضمن الصحراء الكبرى الممتدة من المحيط الأطلنطي غربا الى البحر الأحمر شرقا، على مساحة ثمانية ملايين كيلومتر مربع، وصحراء الجزائر مقارنة بإقليم التل تبدو بسيطة التضاريس تنتشر بها الأحواض الداخلية والعروق المتحركة والجبال ذات الانحدار الشديد[5]، تعتبر بسكرة بوابة

---

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، ط: 01، دار الامام مالك، الجزائر، ط1، ص: 62.

[2] –إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 14.

[3] –سميرة دعاشي، الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وافريقيا ما بين 1850–1945، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية، 2015، ص: 1.

[4] –المشير دوك دي دوماس، **الصحراء الجزائرية**، تر: قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 21.

[5] – عميراوي احميدة وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية من 1844–1916**، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص10

الصحراء في الجهة الشرقية، وفي الوسط الجلفة والأغواط منافذ الى الصحراء الوسطى، وتعد واحات فقيق والساورة وتوات الحدود الغربية الفاصلة للصحراء الجزائرية عن الحدود المغربية، وتقدر مساحة الصحراء الجزائرية بنحو 1,987,600 كيلومتر مربع، أي ما يعادل 90 % من مساحة الجزائر الكلية، تميزها تضاريس بسيطة التكوين، إضافة الى جبال الهقار المرتفعة والعروق والأحواض وتتمايز فيها أربعة مناطق[1].

- **البنية الجغرافية للجنوب الجزائري:** ينقسم الجنوب الجزائري الى عدة اقسام متباينة كالاتي:

أ-الجهة الشمالية الشرقية:

يتميز سطحها بوجود منخفض على مستوى سطح البحر بحوالي 24 مترا بينما ما يحيط به من أراضي يرتفع الى مائة متر، يتميز كذلك بانتشار الواحات كواحة الزيبان وواد سوف، واد ريغ إلخ.

ب-العروق:

يمثلها العرق الغربي الكبير والعرق الشرقي الكبير، ويغطيان مساحات واسعة من الصحراء، إضافة الى عروق أخرى كعرق شاش وعرق ايقدي وعرق الراوي، كما تنتشر به مساحات مغطاة بالحصى وهو ما يعرف بالرق يمثله خاصة تنزروفت[2].

ج-الهضاب الصحراوية:

تطغى عليها الصخور الجيرية وتمثلها خاصة الحمادة الممتدة من الشمال إلى جنوب الأطلس الصحراوي، إضافة الى هضبة تادميت الواقعة ما بين دائرتي العرض 27 إلى 30 شمالا، ويصل ارتفاعها الى ستمائة متر، تأثرت في تكوينها بالرياح وسيول المياه[3]، تتصل جنوبا بمنخفضات تديكلت وتوات وإلى الشمال تلامس هضبة الساورة[4].

---

[1] -سميرة دعاشي، المرجع السابق، ص: 3.

[2] -إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، مطبعة رويبة، الجزائر، 1996، ص: 19.

[3] -براهيم مياسي، المرجع السابق، ص: 20.

[4] - سميرة دعاشي، المرجع السابق، ص: 05

د–مرتفعات أقصى الجنوب:

نعني بها خاصة جبال الطاسيلي في أقصى الجنوب الشرقي، ذات التكوين الصلصالي الرملي، وتعرف بارتفاعها وتقطعها، اوأما الهقار فهي إلى الغرب من الطاسيلي، ذات تكوين بركاني بها أعلى قمة في الجزائر طاهات 2918م[1].

وأهم المظاهر التضاريسية المشكلة للصحراء الجبال والوهاد إضافة الى المستنقعات، الروابي، مع وجود بعض المدن والبليدات، معظم سكانها قبائل بدوية تعتمد على الترحال، تسكن الخيام التي يتم صنعها مما توفره الجمال من وبر، وتأخذ الجبال شكل مواز للبحر، أساسها صخري، حيث تتميز بالارتفاع خاصة في الشرق، وتنحدر باتجاه الغرب ثم تختفي لتتحول في معظمها الى كثبان تظهر على شكل عروق[2]، وتنطلق من تلك الجبال المجاري المائية التي تتغذى من الأمطار المتساقطة، والتي سرعان ما تجف بسبب الحرارة المرتفعة، وتعرف بالأودية، ويعتمد المسافرون في التزود بالمياه على الأبار المنتشرة عبر هذه المناطق، ففي غالب الأحيان لا يسافر الناس ثلاثة أيام إلا ووجدوا بئرا[3].

ثانيا: الاهتمام الأوروبي بالصحراء

كانت معلومات الأوروبيين المستقاة من رحلات اليونانيين والاغريق قليلة ويكتنفها الغموض بشكل كبير، غير أنهم استفادوا فيما بعد مما كتبه الرحالة العرب والمسلمون، الذين قدموا دراسات هامة عن أحوال الصحراء السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مثل ابن حوقل الذي عاش في القرن العاشر الميلادي والبكري الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي والإدريسي، وابن بطوطة، الذي سرد ما عايشه من أحوال السودان وحضارتهم إضافة الى الرحالة حسن الوزان "ليون الافريقي" وما سجله في رحلته الى الصحراء خلال القرن السادس عشر الميلادي[4].

[1] – اعميراوي احميدة، المرجع السابق، ص: 11.

[2] – دوك دي دوماس، المرجع السابق، ص: 23.

[3] – المرجع نفسه، ص: 24.

[4] –إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص: 37.

لقد وصف ابن بطوطة توات بأنها تجمع للعديد من القرى التي عرفها أثناء عودته من رحلته عبر قرية "بودا"، وكلها تتميز بوجود الرمال والسبخات ورغم ذلك نفى عنها الأوصاف السابقة للجغرافيين كونها أرض جذب وقفر، فذكر أنها تنتج التمور ويشتري أهلها السمن والزيوت من الشمال، كما ذكر ابن خلدون أوصاف الصحراء بما فيها صحراء الجزائر فسمى منطقة توات[1] وما جاورها من قرى، كتمنطيط وتسابيت وتيكورارين ببلاد الجزيرة ذات النخيل[2]، وأشار إلى وجود نهر كبير يبدأ مساره من منبع نهر ملوية ثم يشق طريقه نحو الجنوب مخترقا الغرق الكبير باتجاه تمنطيط، التي استقر سكانها على ضفتيه، وتتوزع قصورها هناك، ثم إلى وركلان مارا ببودا وتيكورارين وقد بلغ مجموع تلك القصور ثلاثمائة قصر[3].

أما العياشي فقد تكلم عن صحراء الجزائر في كتابه "ماء الموائد"، بعد الرحلة التي قطعها عبر صحراء المغرب الأوسط[4]، والتي سلك من خلالها طريق واحات توات بجانب واد جير والساورة، ثم اتجه شمالا إلى الدغامشة والقليعة، ثم ورقلة وبعدها تماسين وتقرت وواد سوف، وقد اختار هذا الطريق بسبب ما كان يتوفر عليه من ماء وواحات[5]، ووصف فيها قرى بني عباس، حيث يشير إلى أن بها ثلاثة قرى في منطقة جبلية تطل على حافة الوادي، تكثر بها بساتين النخيل والفواكه وبها ساقية ماء[6]، ثم ذكر قرى توات، كتسابيت المدفون فيها الولي الصالح محم بن صالح "عريان الراس"، والتي تكثر بها التمور،

---

[1] – منطقة تقع جنوب غرب الجزائر، على ضفاف واد مسعود، مركزها مدينة أدرار وتضم مائة قصر كثير منها آهل بالسكان مثل: تيسابيت وأدرار وزاوية كونتة، وكانت عبر الزمن همزة اتصال بين بلاد المغرب والسودان. ينظر: عاشور شرفي، **معلمة الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص: 457.

[2] –زهراء العايب، "القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط في كتابات الجغرافيين والرحالة من القرن الرابع الى نهاية القرن الثامن الهجريين (العاشر الى الرابع عشر الميلاديين)"، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الطاهري محمد بشار، المجلد: 9، العدد: 1، (18-06-2023)، ص-ص: 69-100.

[3] – المرجع نفسه، ص: 80.

[4] –إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص: 39.

[5] –مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص: 25.

[6] – المرجع نفسه، ص67

وذكر أن ثمنها منخفض ويسمون المثقال الأربعين، وحتى الذهب بها أرخص من تافيلالت وفيها تلتقي قوافل تنكبت[1] وقيرز[2] من السودان[3].

ومن المناطق التي تكلم عنها أثناء عودته والتي يلتقي عندها الحجاج، وادي الغاسول ذو العشب الكثير التي ارتحلوا منها الى قرية الكراكد، حيث السلع مرتفعة الأثمان وهي تتعرض دائما لغارات العمور، ثم اتجهوا الى قرى ربا التي يكثر فيها السمن ثم اتجهوا الى بوسمغون وفيها كانت السلع رخيصة الأثمان[4].

وفي بداية القرن التاسع عشر الميلادي، كانت التجارة الخارجية أساس ومصدر جمع الثروات في دول أوروبا، وخاصة دولتي فرنسا وبريطانيا، حيث كان همهما الوحيد تحسين النشاط التجاري وتمويل الحركة الاقتصادية، فركزتا على التوسع واستغلال وسائل المواصلات فكان التنافس بينهما شديدا نجحت من خلاه بريطانيا في تحقيق أرباحا هائلة، كون نسبة 40 % من واردات الدول الأوروبية كانت تمر عبر سواحلها[5].

أدت حركة التوسع الصناعي في بريطانيا الى اكتساح الآلة ميدان الصناعة، وإلى غزو الأسواق الإفريقية بمنتوجاتها النسيجية والصناعية، وأيضا إلى الحاجة إلى المزيد من موارد الطاقة والصناعة، وقد تزامن ذلك مع الحرب التي أعلنتها الحكومة البريطانية ضد تجارة الرقيق خاصة في السواحل الأطلسية الافريقية التابعة لمستعمراتها[6]، ومع مع مطلع القرن العشرين اتضح جليا اهتمام الأوروبيين بالصحراء

---

[1] – مدينة بناها الملك منسى سلمن في سنة 610 هـ، على ضفاف نهر النيجر، كانت حاضرة إسلامية مهمة تعج بالدكاكين وتشتهر بصناعة النسيج وتكثر بها المواشي والحبوب، ينقل اليها التجار البربر السلع القادمة من أوروبا، وتفرض نفوذها على المناطق المجاورة، ينظر الحسن الوزان، **وصف افريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط: 02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج: 02، ص: 165.

[2]– أسسها طوارق مقشرن في نهاية القرن الخامس الهجري، يقصدها التجار والعلماء من مصر وفزان وغدامس وبلاد توات وفاس وأهم مساجدها مسجد السنكري: ينظر عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، مطبعة أمريكا والشرق، باريس، 1981، ص: 21.

[3] – بلحميسي، المرجع السابق، ص: 69.

[4] – مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص: 110.

[5] – محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص: 80.

[6] –إسماعيل الغربي، المرجع السابق، ص: 357.

الكبرى، وظهر ذلك في التنافس الحاد خاصة بين فرنسا وبريطانيا وألمانيا حول الصحراء الافريقية، وتعود دوافع ذلك التنافس إلى مجموعة عوامل:

- البحث عن مصادر المواد الأولية اللازمة للصناعة الأوروبية.
- كونها رابط مهم بين أوروبا وشمال إفريقيا والمستعمرات الأوربية جنوب الصحراء.
- التفكير في التخلص من الفائض السكاني متى تطلب الأمر ذلك.
- تنشيط الأبحاث العلمية في مختلف المجالات خاصة المجال الطبيعي والبشري والاقتصادي[1].

وبسبب فقدان بريطانيا لممتلكاتها في أمريكا الشمالية وتراجع نشاطها التجاري، شرعت تبحث عن البديل الذي وجدته في صحراء إفريقيا، والتي لم تنتبه لها الدول الأوروبية الأخرى وقد اتخذت الجمعية الإفريقية من محاربة تجارة الرقيق ذريعة لذلك التوسع، لكي تضمن دعم الكنيسة لها[2].

وقد كانت الرحلات الأوروبية في الصحراء خلال القرن التاسع عشر الميلادي مقدمة لاستعمار تلك المناطق وهدفها الأساسي التعرف على الطرق التجارية واتجاه القوافل، وبالخصوص مراكز العبور والتطلع إلى مضاعفتها حسب رغبة الدول المتنافسة[3].

ثالثا: الطرق التجارية بالصحراء الجزائرية

مثّل التعرف على الطرق والمسالك الصحراوية الجزائرية أهم انشغالات الأوروبيين وخاصة الفرنسيين، وذلك بهدف تنفيذ خطط الغزو والتوغل داخلها[4]، وكان على رأس هؤلاء إدوارد بلان

[1] –يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص: 317.

[2] –إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 65.

[3] – المرجع نفسه، ص: 53.

[4] –يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطاع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص: 41.

(Edoward blanc)[1]، الذي ألم بموضوع طرق المواصلات وأنجز لها خريطة ضمنها أيضا المسالك التي اتخذها الأوروبيين في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن العشرين[2].

وبفضل الأبحاث والدراسات والرحلات الاستكشافية، توصل الأوربيون الى معرفة أهم الطرق الصحراوية والتي تتمثل خاصة في:

- **الطريق الأول الرابط بين مراكش وتمبوكتو:**

يبدأ من مدينة تارودانت بالمغرب ثم إلى تاوريرت ثم تندوف بأقصى الجنوب الغربي الجزائري، ومنها يتم عبور عرق ايقدي وشاش، وصولا إلى تاوريني ومنها إلى الجوف شرقا، ثم أوتان وإروان ومنهما الى تمبوكتو، وهو الطريق الذي عبره الدكتور أوسكار لينيز[3] الألماني (Oskar Lenz) عام 1880[4].

- **الطريق الثاني:**

هو الطريق المنطلق من فاس ومكناس الى تمبوكتو، ويمر بقصبة المخزن وأم دريبينية ويتبع حوض واد جير ثم إيقلي فحوض الساورة[5]، ثم توات وأقبلي ومنها إلى بئر تيرشيومين ثم ووالن وعين رنان فمبروك فتمبوكتو[6].

- **الطريق الثالث:**

---

[1] – إدوارد بلان (1858– 1923م)، جغرافي ومستكشف فرنسي، https://fr.wikipedia.org/wiki/%C3%89douard_Blanc، استرجع بتاريخ: 2025/04/06.

[2] –يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 331.

[3] – أوسكر لينز (1848–1925م)، جيولوجي نمساوي، وأحد مكتشفي الصحراء الكبرى. https://en.wikipedia.org/wiki/Oskar_Lenz استرجع بتاريخ: 2025/04/04.

[4] –يحي بوعزيز، **تاريخ افريقيا**، المرجع نفسه، ص: 41.

*–حوض الساورة هو المنطقة التي يجري فيها واد الساورة انطلاقا من بني عباس على بعد مائتين وخمسين كيلومتر جنوب بشار، التي توجد بها القصور والنخيل بالإضافة الى مواقع اثرية تعود الى ما قبل التاريخ. ينظر: عاشور شرفي، المرجع السابق، ص802

[5] – حوض الساورة هو المنطقة التي يجري فيها واد الساورة انطلاقا من بني عباس على بعد مائتين وخمسين كيلومتر جنوب بشار، التي توجد بها القصور والنخيل بالإضافة الى مواقع اثرية تعود الى ما قبل التاريخ. ينظر: عاشور شرفي، المرجع السابق، ص802

[6] – إبراهيم مياسي، "الصحراء الجزائرية من خلال الاستكشافات قبل وبعد الاحتلال"، مجلة المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة 1954، الجزائر، المجلد: 7، العدد: 2، (2025/05/03)، ص–ص: 37–63.

طريق وهران أرزيو إلى تمبوكتو، ويمر على مدن الخيثر ثم المشرية فالعين الصفراء ثم فقيق وواد زوزفانة، ثم إيقلي حيث يلتقي بطريق فاس وتمبوكتو، ومنه فرع يأخذ طريق مستقيم من الخيثر والبيض والأبيض سيد الشيخ إلى توات، وهناك يلتقي بطريق وهران، وفاس ومكناس إلى تمبوكتو[1]، وقد عبره كولونيو [2](Victor Martin Colonieu,)، عام 1860[3].

- **الطريق الرابع:**

طريق بسكرة، تمبوكتو وجني، ينطلق من بسكرة إلى تقرت ثم تماسين ومنها إلى نقوسة، ثم ورقلة ثم يأخذ اتجاه الوسط حيث ميزاب ومتليلي إلى المنيعة ثم تيميمون، ومنها إلى عين صالح وأولف وأقبلي ثم تنزروفت ثم المبروك ثم إلى تمبكتو ثم سيغو، ومنها إلى جني[4].

- **الطرق الخامس:**

وهو الطريق الرابط بين مدينة الجزائر وتمبوكتو مرورا بالبليدة والأغواط وغرداية فعين صالح ثم توات ومنعا إلى تمبوكتو وهناك يتفرع الى:

- طريق الى قادم وماو شرق بحيرة تشاد.
- طريق الى اقاديس ومنه فرع الى سوكوتو وفرع الى كاتسنا[5].

- **الطريق السادس:**

طريق سكيكدة قسنطينة إلى امقيد والهقار ومنها إلى تمبوكتو، مرورا بباتنة وبسكرة فتقرت وورقلة ثم البيوض إلى مبروك ثم تمبوكتو، وبه فرعين:

- من جنوب بسكرة الى واد سوف ثم غدامس الى غات.

---

[1] – إبراهيم مياسي، **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830–1962**، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص: 36.

[2] – فيكتور مارتن كولونيو (1826–1902م)، ضابط ومستكشف فرنسي، كان هو من قادة حملة استكشاف الواحات الجزائرية في عمق الصحراء. https://fr.wikipedia.org/wiki/Victor_Colonieu استرجع بتاريخ: 2025/04/06.

[3] –يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا**، المرجع نفسه، ص: 41.

[4] –سميرة دعاشي، المرجع السابق، ص: .31.

[5] –يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا**، المرجع السابق، ص: 41.

- فرع من البيوض الى عين صالح.

- **الطريق السابع:**

طريق طرابلس تمبوكتو، مرورا بغدامس إلى تيمياسين إلى البيوض، وهناك يتصل بطريق قسنطينة تمبوكتو[1]، ومنه فرع إلى ابشر إلى شرق واداي، وهو الطريق الذي سار معه فوجيل عام 1854م، وبارث في 1855م، وكذلك بورمان في 1862م وروهلف في 1866م، إضافة الى ناتشيقال الذي قطعه عام 1870م، أما فرع مسيدا فسار معه بارث عام 1850م، وكذلك باري في 1876م، وفرع آخر قطعه فوجيل في 1854م، ودوفيري في سنتي 1854 و1861م، ونشتيقال سنة 1869، إضافة إلى روهلف الذي وصله عام 1879[2].

رابعا: الأسواق والقوافل بالصحراء الجزائرية

- **أهم الأسواق الصحراوية:**

- أسواق السودان الغربي وتعد توات وتمبوكتو من أهم مراكزها.
- أسواق السودان الأوسط واهم مراكزها تشاد إضافة الى سوكوتو ووداي وبورنو وباقيرسي.
- أسواق السودان الشرقي واهم مركزها التجارية كل من دارفور وكوردوفان[3].

- **القوافل بالصحراء الجزائرية:**

اشتهرت في الجهة الشرقية قوافل السوافة، التي تضم بطني عدوان وطرود وقد اهتموا بالتجارة سواء الداخلية او الخارجية فكانت وجهتهم أسواق تونس وغدامس وغات والمغرب، بينما قوافل ورقلة كانت وجهتها نحو غدامس شرقا وشتاءً الى الجهة الغربية من غرداية[4].

---

[1] -إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 36.

[2] -يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 332.

[3] -المرجع نفسه، 333.

[4] -سميرة دعاشي، المرجع السابق، ص: 24.

وفي وسط الصحراء الجزائرية تتوزع قبائل بني ميزاب على أطراف الصحراء الشمالية شتاءً للبحث عن المراعي وينتقلون صيفاً نحو التل لمبادلة منسوجاتهم وأصوافهم بالحبوب، أما قوافل متليلي شعانبة[1] البرازقة، فيتنقلون شتاءً وربيعاً ويعودون ما بين شهر سبتمبر وديسمبر لجمع محاصيل التمور، وفي أقصى الجنوب تعتمد قبائل الطوارق[2]، على تجارة الملح الذي يبادلونه مع شمال النيجر مقابل الذرة والملابس والأسلحة والأواني وتصل قوافلهم حتى أسواق توات وتيديكلت[3]، وتكون وجهتهم لأسواق توات وتيديكلت لجلب الشاي والسكر والملابس مقابل بيع الجمال والماعز[4]، وكان الطوارق مثلهم مثل القبائل القوية يمارسون نشاط النهب والسلب وهو ما كان يعزز مواردهم الاقتصادية[5].

قوافل توات، حيث تشتهر قبيلة أولاد زنان بتربية الإبل التي تضعها في خدمة التجار بمقابل، إضافة الى قبيلة الخنافسة التي كانت المنافسة لا تتوقف بينها وبين الطوارق.

قوافل المشرية تتحرك هذه القوافل في اتجاه تكورارين[6]، بحثاً عن الكلأ ومنها قبائل أولاد مسعود وأولاد منصورة وأولاد سرور وأولاد مبارك وأولاد أحمد، وخاصة قبيلة البكاكرة التي اشتهرت بكثرة المنخرطين فيها.

---

[1] – يعود أصل الشعانبة إلى علاق من عوف من سليم بن منصور من العدنانية، هاجروا إلى شمال افريقيا مع الزحف الهلالي في القرن الرابع عشر الميلادي، واتخذوا متليلي موطنا لهم على بعد خمسة عشر كيلومتر من غرداية، يُنظر إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 163.

[2] – الطوارق قبائل تتكون من ثلاثة فروع هي طوارق طاسيلي ناجر واهجار وادرار نيفوغاس، يشتهر الطوارق باللثام الذي يعد رمزا عريقا لهم يستعملونه لحماية الفم والمناخر لمنع دخول الشياطين الى أجسادهم، وليس كما كان يظن أنه لحمايتهم من الرياح والرمال. ينظر إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 175.

[3]– سميرة دعاشي، المرجع نفسه، ص: 24.

[4] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 181.

[5] – المرجع نفسه، ص: 183.

[6]– تكورارين هي عبارة عن منخفض في الصحراء، جنوب العرق الغربي الكبير، به مجموعة واحات مركزها تيميمون، يضم سكان قورارة الشرفة وهم عرب نبلاء والسود من أصل سوداني هاجروا بإرادتهم او جلبوا عنوة، وساكنة من أصل بربري، ينظر: عاشور شرفي، المرجع السابق، ص: 1194.

قوافل البيض: تنخرط فيها قبائل أولاد زياد الغرابة والطرافي، ومن سكان أولاد سيدي الشيخ عموما، إضافة الى قبائل من جيري فيل، كلهم كانوا يتجهون الى الى منطقة توات أو إلى تكورارين.

قوافل العين الصفراء: تشق طرقها من وادي الناموس لمدة خمسة وعشرين يوما تصل خلالها إلى تكورارين وتشاركها الطريق قبائل أولاد عيسى وشروين وتسابيت وأوقروت[1].

- **البضائع التجارية المتبادلة مع جنوب الصحراء:**

كانت القوافل المتجهة جنوبا (الصحراء) تحمل معها الأقمشة بما فيها الأوروبية، والأسلحة المختلفة الأشكال والأنواع كالخناجر والبنادق والدروع، وهذه الأسلحة كانت مطلوبة خاصة من طرف الحكام والملوك للدفاع عن ممتلكاتهم، كما تنقل أيضاً أدوات تجهيز الجمال خاصة السروج، إضافة إلى الأواني والمعادن وأدوات الزينة والكحل والنحاس بمختلف أنواعه، خاصة الذي يُؤتى به من جنوب إيطاليا، كما ينقل التجار معهم الزجاج والذهب والعطور والسكر والخضر المجففة والأغنام والبغال المغربية المعروفة بقوتها، فقد وصل سعرها في بورنو إلى ما يقابل خمسة عشر وحتى العشرين عبداً أسوداً للبغل الواحد، زيادة على الكتب والمخطوطات التي كانت تلقى الإقبال في الحواضر الإسلامية كتمبوكتو وتوات وغدامس وجني، التي كان يتجه إليها علماء الشمال للتدريس بها من تلمسان وفاس ومكناس طرابلس وكذلك مراكش[2].

عند وصول القوافل تباع هذه المواد في مناطق الصحراء بما فيها الجمال التي تكون قد أُرهقت اثناء السفر الشاق، في فصل الربيع يعود التجار الى الشمال بالعبيد وتبر الذهب والملح والعاج والجلود والجمال والتمور[3]

- **الركب:**

[1] –سميرة دعاشي، المرجع السابق، ص: 26.

[2] –يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص: 47.

[3] – المرجع نفسه، ص: 48.

يتحرك على شكل مدينة تخضع لنظام محكم يتولى سيرها وأمنها المشرف على الركب، ويدعى الأمير، يساعده القاضي والإمام، وعادة ما تتعرض القافلة لمشاكل عدة خاصة مشكل الماء والتعب ونفاذ المؤونة والظروف المناخية القاسية، زيادة على ما تتعرض له من هجمات اللصوص وقطاع الطرق من الأعراب، الذين لا يسلم منهم حتى الحجاج، فتضطر القافلة إلى الدفاع عن نفسها أو انتظار ظلام الليل للسير فيه أو تغيير الإتجاه، ورغم ذلك كانت القوافل تجد الترحيب من سكان القرى وينتهزون تلك الأوقات للتبادل الفكري والفقهي وحتى التجاري فيتزودون بما يحتاجونه من مؤونة وخاصة الحجاج[1].

- **مشاكل الطرق التجارية**

رغم ما كان قائما من اتفاقيات بين الكثير من القبائل والتجار إلاّ ان التجارة كانت تواجه مشاكل عديدة تتلخص أساسا في:

- الهجمات التي كانت تتعرض لها القوافل التجارية من طرف قطاع الطرق ومن البو الرحل والطوارق إضافة الى مشكل الماء.
- إجبار التجار على دفع ضرائب المرور والزيادة فيها باستمرار خاصة بعد أن برزت المزاحمة الإنجليزية التي عملت على تحويل التجارة من طرابلس الى المحيط الأطلسي غرباً عبر نيجيريا والى كانو، ففي غات كان التاجر يدفع 5,4 فرنك ذهبي و9 فرنكات في طريق العودة للحمولة الواحدة، وفي مدينة كانو يدفع من 25 الى42 فرنكاً[2]، وبسبب تلك المشاكل لجات دول المغرب الى الحلول التالية:
- تسليح رجال القوافل لحماية تجارتها وفي حالة الاعتداء الحصول على تعويض عن ذلك.
- تزويد القوافل بالعناصر القوية القادرة على الدفاع عن القافلة وتشكيلها من مختلف القبائل حتى تلقى الدعم عند الاعتداء عليه.

[1] –مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص: 25.

[2]– يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا**، المرجع السابق، ص: 45.

- تكليف رجال متخصصين في مجال جمع المعلومات عن الرحل لتزويد القبائل بكل الأخبار مسبقاً والتي تتيح لها أخذ احتياطاتها.
- تعيين أدلاء متمكنين في مجال الطرق وتوزيع الآبار ومواطن العصابات وكل ما يتعلق بالأساليب التي يستعملونها.
- اللجوء الى إلزام القبائل بدفع مختلف الضرائب كضريبة المرور والعشر وتوفير ما تحتاجه القافلة من مرشدين لتسهيل وصولها لأسواق الشمال حسبما هو متعارف عليه[1].

خامسا: أهم البعثات الأوروبية في الصحراء

كانت بريطانيا سباقة إلى الاهتمام بالصحراء الإفريقية خاصة وانها فقدت مستعمراتها في أمريكا الشمالية، فبادرت الى تأسيس "الجمعية الافريقية " عام 1788م، والتي تولت تجنيد كل من يرغب في خوض مغامرة الاستكشاف في إفريقيا تمهيدا لغزوها، فأرسلت العديد منهم والذين حاولوا عبور القارة من جميع الاتجاهات خاصة الصحراء ومعظمهم لقوا حتفهم بسبب الإرهاق أو القتل على أيدي القبائل، ومنهم "يوحنا لديار" [2] (John ledyard) والنائب "لوكا" (Lucas)، الذي كان من المفروض أن يبدأ رحلته من مصر ولكنه لقي حتفه بسبب الحمى[3]، والماجور هوقتون (le major honghton) وأيضا مونقوبارك الاسكتلندي (mongo-parck)، وهورنمان (hornemann) الألماني، وهو أول أوروبي يقطع الصحراء ورونتجن(roentgen)، رغم ذلك تم التوصل إلى معرفة الطرق الرابطة بين شمال وجنوب الصحراء ومنها الوصول الى غرب إفريقيا حيث السودان الفرنسية وبحيرة تشاد، وبقيت تمبوكتو عصية على المستكشفين الأوروبيين وخاصة الفرنسيين الذين احتموا بها منذ عهد لويس الرابع عشر ودخل البريطانيون على نفس خط المواجهة[4].

[1] – المرجع نفسه، ص: 46.

[2] –يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، لمرجع السابق، ص: 317.

[3] –إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 65.

[4] – المرجع نفسه، ص: 68.

وقد شهدت هذه المرحلة تعاونا كبيرا بين البعثات الاستكشافية البروسية والبريطانية لاستطلاع الصحراء، وكان ذلك على يد وزير خارجية بروسيا لدى بريطانيا الذي رشح الشاب الألماني "هنري بارث" للمشاركة في الحملات الاستكشافية، وقد ولد هذا المستكشف في ولاية تورينج، ودرس بجامعة برلين علوم الفلسفة والحفريات على يد عالم الجغرافيا كارل ريتر، وكان جد متأثراً بما كتبه الرحالة الأوائل كروني كاييه الفرنسي ومونجوبارك وروبينصون كروزو وغيرهم، وقد انطلق في رحلته من طنجة الى الجزائر ثم تونس وبرقة وطرابلس وهناك على الحدود مع مصر تعرض لهجوم البدو، وقد كان ينوي الاتجاه الى زنجبار ولكنه عدل عن ذلك وتوجه الى تمبوكتو بأمر من الحكومة البريطانية، ثم اتجه نحو عاصمة بورنو في 1852م من شهر نوفمبر ثم إلى تمبوكتو في بداية سبتمبر من عام 1853[1].

أقام بارث في تمبوكتو ما يقارب الثمانية شهور وبعد ذلك عاد الى طرابلس عن طريق "ساي" ثم "كوكا"، وقد وصل إلى طرابلس في شهر أوت من سنة 1855م، بعد جمع معلومات وبيانات هامة تتميز بالدقة العلمية عن الصحراء وتشاد، وذلك في المجال الجغرافي والجيولوجي والبشري، كما كان له دور كبير في تكوين علاقات تجارية كبيرة بين أوروبا وهذه المناطق، ولذلك يعد من أهم المستكشفين للقارة الافريقية أوريا، ومن أهم ما أوصى به قبل وفاته ان تعمل فرنسا على بربط افريقيا بالجزائر وان تتعامل مع السكان المحليين بطرق مناسبة وتحترم خصوصياتهم وذلك ما سيساعدها على تحقيق ما تريده[2].

[1] – نفسه، ص: 79.

[2] –مياسي إبراهيم، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 34.

الفصل الأول:

الحملات الفرنسية على الصحراء الجزائرية

أولاً: دوافع الحملات الفرنسية على الجنوب الجزائري

ثانياً: رواد الحملات الاستكشافية الفرنسية بالصحراء الجزائرية

ثالثاً: موقف السكان المحليين من الحملات الاستكشافية

رابعاً: تعاون الأهالي مع البعثات الفرنسية

خامساً: المشاريع الكبرى التي جلبت اهتمام الفرنسيين بالصحراء الجزائرية

في إطار التنافس الأوروبي على احتلال وتقسيم ممتلكات الإمبراطورية العثمانية ظفرت فرنسا بالجزائر وركزت جهودها على السيطرة على المناطق الشمالية في البداية، ولكن رغبتها في منافسة بريطانيا وحلم قادتها في الاستحواذ على المزيد من الأراضي لربط مستعمراتها في إفريقيا ببعضها، دفعها إلى توفير إمكانيات مادية وبشرية ولوجستية ضخمة للوصول الى أقصى الجنوب الجزائر وإلى حدود مستعمراتها في النيجر والسنغال والسودان الغربي بشكل عام.

أولا: دوافع الحملات الفرنسية على الجنوب الجزائري

اتضح جلياً اهتمام فرنسا بالصحراء الجزائرية منذ المغامرة التي قام بها كل من "فريدريك كايو"[1] (Frédéric Cailliaud)، "وروني كايي"[2] (René caillié)، لكن المقاومة التي واجهها الفرنسيون منعتهم من التوغل في الصحراء لمدة تزيد عن الأربعين عاماً، ورغم ذلك ركزوا على تحقيق أهدافهم بدافع عدم الاكتفاء بالمناطق الشمالية، فعملوا على غزو الصحراء في إطار ما سموه "الاستكشاف" لمعرفة هذا العالم المختلف برماله وواحاته وسكانه، ومن أجل التعرف على مظاهر السطح المائية والتضاريسية والطبوغرافية، وما توفره هذه البيئة لاستغلاله في عملية الغزو، إضافة الى دراسة خصائص المجموعات السكانية وعاداتها، ومقوماتها الحضارية والسياسية والثقافية[3].

وفي إطار التنافس مع الدول الأوروبية للتوسع في الصحراء بادرت فرنسا الى احتلال الجزائر وحرصت على التوغل نحو جنوبها بهدف التقرب من مستعمراتها في الجهة الغربية لإفريقيا لمراقبة الدول الأوروبية المنافسة لها، وقد تمكنت فرنسا في مؤتمر برلين عام 1884م، من افتكاك اعتراف الدول

[1]- فريديرك كايو (1787-1869م)، مستكشف علمي وجيولوجي فرنسي، متخصص في الحضارة المصرية.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Fr%C3%A9d%C3%A9ric_Cailliaud استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[2] - روني كايي (1799-1838م)، مستكشف فرنسي في إفريقيا وأول أوربي يصل لمدينة تمبكتو.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Ren%C3%A9_Cailli%C3%A9 استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[3]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 318.

الأوروبية لها بسلطتها على غرب إفريقيا والصحراء الشمالية، وهو أهم هدف سعى له ساسة فرنسا لتكوين وحدة تربط شمال الجزائر بالصحراء والسودان الغربي[1].

وازداد اهتمام الفرنسيين من منتصف القرن التاسع عشر بالصحراء الجزائرية، وطرقها ومسالكها، حيث أعلنت الجمعية الجغرافية بباريس عن تقديم مبلغ ستة آلاف فرنك لكل مستكشف يقوم برحلة ما بين الجزائر وتمبوكتو، ويرصد أهم الطرق والقوافل، فيما يخص اتجاهاتها وأوقات تحركها، وذلك بدافع السيطرة على النشاط التجاري في الصحراء والتعرف على المسالك التي تمكن جنودها من التنقل بشكل آمن، وبالاعتماد على كتب الرحالة والمؤرخين المسلمين، وقد نجحوا عبر تلك الرحلات في معرفة أهم الطرق التي تسلكها القوافل[2].

ويمكن حصر الدوافع الأساسية للتوسع الفرنسي بالصحراء الجزائرية في:

- **الدوافع العسكرية:**

اضطر العديد من المقاومين للاحتلال الفرنسي بالجزائر، إلى اللجوء إلى الصحراء واتخاذها معقلا لإعادة تنظيم المقاومة ضد الجيش الفرنسي، بالاشتراك مع قبائل الصحراء التي تحملت سياسة الأرض المحروقة والتدمير وسلب موارد رزقها[3].

فعملت فرنسا على ملاحقة الثوار في المناطق التي احتموا فيها سواء في الشرق أو في منطقة توات، ثم التفتت لأقصى الجنوب حيث الهقار، وسعت لاستمالة شيوخ القبائل لتسهيل عبور الفرق العسكرية والسلع التجارية، وذلك بمساعدة المجندين لخدمة الجيش الفرنسي كفرقة المهاريست التي لعبت دوراً هاماً في محاربة الثائرين ومطاردتهم[4].

---

[1]- محمد بليل، "مقاومة الجزائريين لسياسة التوسع الاستعماري بالجنوب الشرقي للجزائر 1850-1918 من خلال وثائق أرشيفية "، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد: 02، العدد: 01، (30 جوان 2017)، ص: 11.

[2]- إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 35.

[3]- محمد هقاري، "دور سكان منطقة ازجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى"، المجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، المجلد: 08، العدد 24، (جوان 2016)، ص: 25.

[4]- محمد بليل، المرجع السابق، ص: 13.

وإضافة إلى كون الصحراء بالنسبة للفرنسيين مثلت مراكز للتقدم نحو مستعمراتهم المجاورة، حيث اعتبرت همزة وصل بين ممتلكاتها في الشمال وتلك الموجودة في الجنوب، وهو الشيء الذي كان يبعث في نفوس الفرنسيين الافتخار بقوتهم وسيادة جيوشهم على مستعمراتهم في افريقيا[1].

- **الدوافع الاقتصادية:**

مثلت هزيمة فرنسا أمام ألمانيا سنة 1870م وخسارة منطقة الألزاس واللورين دافعا لتوغل الفرنسيين في الصحراء، بحثا عن مزيد من الثروات التي أصبحت فرنسا بحاجة إليها لتعويض خسائرها أمام ألمانيا، ولذلك رأى الفرنسيون أن أحسن وسيلة تساعدهم على استغلال خيرات الجزائر هي إقامة خطوط للسكك الحديدية تربط الصحراء بالسودان الغربي[2].

كما تأثرت فرنسا كثيرا بالركود الذي أصاب اقتصادها بسبب احتياجها للمواد الأولية والمعادن والثروات المختلف، فسعت الحكومة الفرنسية منذ فترة حكم الإمبراطورية الثانية إلى تشجيع الاستثمارات وتسهيل نقل رؤوس الأموال إلى الجزائر وتحفيز المعمرين على الاستثمار بالجنوب، بالاعتماد على مساعدة الجيش الفرنسي، وكذلك مد الطرق والمبادرة بإنجاز المشاريع الكبرى[3]، إضافة الى العمل على إيجاد نظام يتم من خلاله وصل المناطق الواقعة تحت سيطرتها ببعضها البعض، سواء في الجهة الشمالية أو الوسطى أو الغربية، والهدف الأساسي لذلك إنعاش التجارة الفرنسية ومساعدتها على اقتحام الأسواق الافريقية[4].

ومن أجل ذلك بذلت فرنسا مجهودات عظيمة لإقامة طرق المواصلات البرية والحديدية وخطوط الهاتف بهدف جعل حركة المغامرين والجنود تتم بشكل أسهل وآمن، مع البحث عما يناسب كل منطقة حسب ظروفها وبنيتها الطبيعية والمناخية بالاعتماد على كتب الرحالة العرب ومسارات طرق القوافل[5].

---

[1]- ريمون فيرون، المرجع السابق، ص: 5.

[2]- المرجع نفسه، ص: 26.

[3]- محمد بليل، المرجع السابق، ص: 12.

[4]- عميراوي احميدة، المرجع السابق، ص: 17.

[5]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 319.

كان أول من اهتم بفكرة مشروع السكك الحديدية هو المهندس "أدولف دوبونشيل"[1] (Duponchel Adolphe) عام 1858م، متأثراً بالتوسع الإنجليزي في القارة الإفريقية، وقد نصح حكومة بلاده بضرورة ربط مستعمراتها بمد خطوط السكك الحديدية، بل ذهب بعيداً حينما اقترح مد خط حديدي يوصل الجزائر بأقصى جنوب القارة في "ترانسفال"، وقد قضى ثلاثة عقود باحثاً ودارساً لهذا الموضوع، ونجح في افتكاك موافقة البرلمان على إقامة ثلاثة خطوط سكك حديدية منذ عام 1880[2].

كان المهندس "ديبونشيل" والمستكشف "سولييت"[3] (Paul Soleillet) من أشد المؤيدين لهذا المشروع، وقد كان هذا المشروع متداولا حتى قبل غزو الصحراء، حيث وضع الجيولوجي "بوميل"[4] (Auguste Pomel)، خريطة جيولوجية للصحراء الكبرى سنة 1876م، وكانت الحكومة الفرنسية مهتمة جداً بهذا المشروع فكثفت من بعثاتها إلى الصحراء، فكانت الأولى تحت إمرة "بويان"[5] (Justin Pouyanne)، في 1879-1880م، اهتمت بإعداد دراسة لجنوب وهران والساورة، وفيها أد "بيل"[6] (M. Bailles)، الدراسة الهيدرولوجية والجيولوجية، وفي نفس الفترة كانت بعثة

[1]- أدولف دوبونشيل (1821-1903م)، مهندس وجغرافي فرنسي دعا إلى إنشاء خط السكة الحديد العبار للصحراء، بين مدينة الجزائر والنيجر. https://fr.wikipedia.org/wiki/Adolphe_Duponchel استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[2]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 333.

[3] - بول سولييت، (1842-1886م)، مستكشف فرنسي قام بعدة رحلات استكشافية بالصحراء وإفريقيا لصالح الحكومة الفرنسية. https://fr.wikipedia.org/wiki/Paul_Soleillet استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[4] - نيكولا أوغست بوميل (1821- 1898م)، عالم حفريات وجيولوجي وعالم نبات وسياسي فرنسي، أنجز عدة أعمال جيولوجية عن الجزائر. https://fr.wikipedia.org/wiki/Auguste_Pomel، استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[5] - جوستان بويان (1835- 1901م)، موظف سامي ومستكشف وراسم خرائط فرنسي، أنجز أعمال جغرافية عن حوض الساورة. https://fr.wikipedia.org/wiki/Justin_Pouyanne، استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[6] - م. بيل، مهندس مناجم كان ضمن بعثة بويان، أنجز دراسات مائية بالقطاع الوهراني.

Augustin Bernard, **Algérie**: **historique de la pénétration saharienne**, Mustapha Giralt Imp, Alger, 1900, p :81.

"شويزي[1] (Auguste Choisy)، التي رافقها الجيولوجي "رولان"[2] (Georges Rolland) توقعت طريقين هما:

- الأول: الأغواط – القولية
- الثاني: بسكرة – ورقلة[3].

- **الدافع الديني:**

يدخل تنصير الصحراء ضمن الاستراتيجية الكبرى التي وضعتها الكنيسة الكاثوليكية عبر نظام الآباء البيض، الذي وضع قواعده الكاردينال "لا فيجري"[4] (Charles Martial Lavigerie) حتى يتكامل الغزو الديني مع العسكري، وذلك من خلال تكثيف بناء الكنائس خاصة في المناطق الصحراوية المكتظة بالسكان، والتي ترتفع فيها درجة الفقر حيث يتم تقديم المساعدات الخيرية كالغذاء والدواء واللباس، أملا في قطع الطريق أمام تأثير الطرق الصوفية والمرابطين عليهم فيما يخص الجهاد ضد المد المسيحيين، وبموازاة العمل العسكري الذي يسير في الشمال والجنوب، وكل ذلك في إطار هدف عام يتمثل في إعادة بعث الكنيسة الإفريقية الرومانية في كل جهات الجزائر[5].

ثانيا: رواد الحملات الاستكشافية الفرنسية بالصحراء الجزائرية:

يعود اهتمام الفرنسيين بالصحراء الجزائرية إلى منتصف القرن التاسع عشر بسبب ما كان لديها من معلومات سابقة عن الإمكانيات التجارية للصحراء وتنوع ثرواتها، وازداد ذلك الاهتمام مع نهاية القرن وهو الشيء الذي اتضح من خلال إصرار القيادات السياسية والمستثمرين على بسط نفوذهم

[1] – أوغست شويزي (1841-1909م)، مهندس مدني ومؤرخ هندسة فرنسي، قام سنة 1875م ببعثة دراسية لإنجاز خط السكة العابر للصحراء. https://fr.wikipedia.org/wiki/Auguste_Choisy استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[2] – جورج رولان (1852- 1910م)، جيولوجي ومستكشف ومهندس مناجم فرنسي كان ضمن بعثة شويزي سنة 1879م. https://fr.wikipedia.org/wiki/Georges_Rolland_(g%C3%A9ologue استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[3]– ريمون فيرون، المرجع السابق، ص: 388.

[4] – شارل لافيجري (1825-1892م)، كاردينال وأستاذ لاهوت ومبشر فرنسي، أسس جمعية الآباء البيض التبشيرية سنة 1868 بالجزائر. https://fr.wikipedia.org/wiki/Charles_Lavigerie استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[5] محمد هقاري، المرجع السابق، ص: 27.

عليها، وكانت السلطات الفرنسية فيما سبق قد بادرت الى تأسيس "لجنة الاستكشاف العلمي عام 1837م" وأولت أهمية للبحث فيما يخص تجارة الصحراء من حيث التبادل التجاري والمواد المتاجر فيها وأساليب التعامل ونقاط الارتكاز المؤدية الى جنوب الصحراء[1].

وقد تعرف الضباط الفرنسيون على الصحراء الجزائرية من خلال ما كتبه عنها الرحالة الأوروبيون، وبفضل ذلك نجح الضابط "لابي"[2] (Pierre Lapie) في وضع خريطة للجزائر تتضمن مظاهر السطح بالإقليم الجنوبي، والتي استفاد منها الجيش الفرنسي في غزو المنطقة والسيطرة عليها في المجال الإداري والاجتماعي، كما استفاد الفرنسيون من خبرة من جابوا الصحراء سابقا ومنهم الفقيه الشنقيطي "ابن طوير الجنة"[3]، الذي زار الجزائر أثناء عودته من رحلة الحج[4].

كانت بداية التفات فرنسا للصحراء الجزائرية مع التقرير الذي كتبه "كاريت"[5] (Ernest Carette) حول التجارة عبر الصحراء معتمدا على ما سجله من مرتادي الطرق الصحراوية واتجاهاتها وسكان تلك المناطق وطبيعتها ومصادر رزقهم، ثم ظهر كتاب "الصحراء الجزائرية" لصاحبه "دوماس"[6] (Eugène Daumas)، والذي كان مؤشرا على نية فرنسا المبكرة في التوسع نحو

---

[1] جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص: 139.

[2]- بيير لابي (1777-1850م)، عقيد ونحات ورسام خرائط جغرافية فرنسي.
https://en.wikipedia.org/wiki/Pierre_M._Lapie، استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[3] - الطالب أحمد بن طوير الجنة الوداني، (توفي 1849م)، فقيه شنقيطي من مدينة وادان، وأحد أصحاب الرحلات الحجازية، له مصنف "رحلة المنى والمنّة". أنظر: أحمد بن طوير الجنة، **تاريخ بن طوير الجنة**، تحقيق: سيد أحمد بن أحمد سالم، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1995، ص-ص: 25-30.

[4]- عميرا وي أحميده، المرجع السابق، ص: 31.

[5]- أرنست كاريت (1808-1889م)، ضابط هندسة ومستكشف فرنسي له أعمال حول التجارة العابرة للصحراء. ينظر:
E. Carette, **Du Commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les États Barbaresques**, A. Guyot, imprimeur du roi, Paris, 1844.

[6] - أوجين دوماس (1803-1871م)، جنرال وكاتب ورجل ساسة فرنسي، وأحد أساطين الاستعمار الفرنسي بالجزائر ومهندس نظام المكاتب العربية، له عدة أعمال حول الجزائر. https://fr.wikipedia.org/wiki/Eug%C3%A8ne_Daumas استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

الصحراء، والتي شرعت فعليا بعد قرار البرلمان الفرنسي سنة 1844م، في البدء جدياً في التوسع نحو الجنوب، من خلال المبادرة إلى تأسيس الحاميات العسكرية في النقاط التي تعد منافذ للتجارة بين الشمال والجنوب كتيارت وسعيدة وبوغار، وفي نفس السنة توغلت في بسكرة بوابة الصحراء الشرقية[1].

وبداية من منتصف القرن التاسع عشر ازدادت حركة الرحلات نحو الجنوب، فأنجز الدكتور "هنري بارث"[2] (Heinrich Barth) الألماني رحلته الثانية أعوام 1850-1855م، من طرابلس إلى تمبوكتو عبر قورارة وتوات وتيديكلت، وفي هاته الرحلة توفي رفيقاه العالم "ريتشارد سون"[3] (James Richardson) و"أوفيرويج"[4] (Adolf Overweg)، كما قام "إدوارد فوجيل"[5] (Edouard Vogel) برحلة من طرابلس إلى الصحراء عام 1853م وقتل هناك بعد سنوات[6].

تولى القائد الأعلى لدائرة البيض "دو كولومب"[7] (De Colombe) رحلة استكشافية بهدف استكشاف قصور[8] الجنوب الغربي، حيث حصل على موافقة الجنرال "دوريوس"[9] (Durrieu) قائد

---

[1]- جمال قنان، المرجع السابق، ص: 140.

[2] - هنري بارث (1821-1865م)، عالم ولساني ورحالة ألماني، يعد من أعظم المستكشفين الأوربيين لإفريقيا.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Heinrich_Barth استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[3] - جيمس ريتشاردسون، (1809-1851م)، عالم ومستكشف بريطاني.
https://fr.wikipedia.org/wiki/James_Richardson_(explorateur) استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[4] - أدولف أوفرفيج (1822-1852م)، عالم وجيولوجي وفلكي ومستكشف ألماني.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Adolf_Overweg استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[5] - إدوارد فوجيل (1829- 1856م)، مستكشف وعالم فلكي ألماني.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Eduard_Vogel استرجع بتاريخ: 205/04/08.

[6]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 321.

[7]- لويس دو كولمب (1823- 1902م)، ضابط فرنسي وحاكم لدائرة البيض، كانت له أعمال عسكرية كثيرة بالجزائر.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Louis_de_Colomb استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[8] - القصور: جمع قْصر، من كلمة قصر العربية وهي مراكز عمرانية وحصون صحراوية، تتواجد بالقرب من الأودية ونشاط سكانها الأساسي الفلاحة، وكانت لها مساهمة حضارية واقتصادية كبيرة في الصحراء. ينظر: عاشور شرفي، المرجع السابق، ص: 1185.

[9] - فرنسوا ألفرد ديريوس (1812- 1877م)، جنرال فرنسي شغل منصب الحاكم العام للجزائر سنة 1870م.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Fran%C3%A7ois_Louis_Alfred_Durrieu استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

معسكر في 1856م، واستعان في رحلته هذه بقائد قبيلة أولاد سيدي الشيخ الخليفة سي حمزة ومجموعة من رجال قبيلة الشعانبة، بدأ رحلته في شهر يناير عام 1857 نحو تيكورارين وتيديكلت وتوات، التي قال عنها أنها عبارة عن "جزر خضراء وسط محيط من النار"[1].

وكانت رحلة "بونمان" عام 1857م من الواد الى غدامس، وفي 1858م قاد "دوفيريي"[2] (Henri Duveryier) رحلته الاستكشافية الى بلاد الطوارق "أزجر" بهدف التعرف العادات والتقاليد والتنظيم السياسي لسكانها[3]، كما كلفت الحكومة العامة دوفيريي بمهمة استكشاف بسكرة في 8 ماي عام 1859م انطلاقاً من قسنطينة، فوصل غرداية في جوان ثم متليلي ومنها الى المنيعة[4].

شكلت رحلة "مير شير"[5] (Hippolyte Mircher) و"وبولينياك"[6] (Ludovic de Polignac) والمهندس "فاتون" (Vatonne)، ومعهم الطبيب "هوفمان" (Hoffmane)، والمترجم "إسماعيل بوضربة"[7] إلى غدامس عام 1862م[8]، إنجازا عظيما للمشروع الفرنسي الهادف الى

[1]- إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص :37.

[2]- هنري دوفيريي (1840-1892م)، رحالة وجغرافي ومستكشف فرنسي، وأحد رواد الحملات على الصحراء. https://fr.wikipedia.org/wiki/Henri_Duveyrier استرجع بتاريخ: 2025/04/085.

[3] - يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 321.

[4] - إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 37.

[5] - هيبوليت ميرشر (1820- 1878م)، شابط وجغرافي فرنسي عمل بالجزائر، واشتهر برحلته إلى بلاد الطوراق سنة 1862م. https://en.wikipedia.org/wiki/Hippolyte_Mircher استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[6]- لودفيك بولينياك (1828-1904م)، ضابط ومسكشتف فرنسي، عرف بدوره في الاتفاقية مع الطوارق سنة 1862م. https://en.wikipedia.org/wiki/Ludovic_de_Polignac استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[7]- إسماعيل بوضربة، (1823-1875م)، ولد بمرسيلية من أب جزائري يحترف التجارة وأم فرنسية، تعلم بالمدارس الفرنسية بعد الاحتلال، وعمل كمترجم وقدم خدمات جليلة للاستعمار، وقام برحلة استكشافية إلى الصحراء سنة 1858م. محمد مبارك كديده، "رحلة إسماعيل بوضربة إلى غات عام 1858م أهدافها ونتائجها في استراتيجية الاحتلال الفرنسي للتوغل في الصحراء"، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، المجلد: 06، العدد: 01، (2022)، ص، ص: 833، 834.

[8] -Vatonne, F, **Mission de Ghadamès**, Typoghraphie Duclaux, Alger, 1863.

التقدم نحو الجنوب، فنجح الفريق في عقد اتفاق مع زعيم قبائل الطوارق الحاج "ايخنوخن " في 26 نوفمبر عام 1862م[1].

والملاحظ أن معظم البعثات الاستكشافية تولاها ضباط الجيش الفرنسي أو أوكلوا تلك المهمة الى أشخاص آخرين رأوا فيهم الأهلية لذلك، ففي سنة 1856م أنجز الجنرال دوماس كتابه عن الاستكشاف في الصحراء بعنوان " الصحراء الجزائرية "، والذي جمع فيه كل المعلومات والملاحظات المتعلقة بحياة السكان البدو والواحات والقصور بما فيها الأسواق والطرق والأبواب، وقد سبقه القس "بارجيز"[2](Abbe) (Berges إلى ترجمة مخطوط سيدي الحاج عبد القادر أبي بكر التواتي بن هيبة الله"[3] من أولف، والمخطوط يؤرخ لأحوال الصحراء الجزائرية والسودان الغربي، وأعترف بارجيز أن الأبجدية الطوارقية التي جاء بها صاحب الرحلة تعتبر على درجة عالية من الدقة والكمال، والقس بارجيس كان قد كلفه القبطان "بواسوني" (Boissonnet)، بمهمة جمع كل ما له علاقة بالصحراء الجزائرية من معلومات[4].

كان التوغل الفرنسي في الجنوب الجزائري يمثل في حد ذاته مشروعاً ومقدمة للسيطرة على إفريقيا جنوب الصحراء من جهة ومن جهة أخرى يساهم في استقرار المؤسسة العسكرية هناك، وقد مهدت فرنسا لتحقيق ذلك بتكثيف الفرق الاستكشافية للاستطلاع، والتي تولت مهمة جمع المعلومات عن خصائص الصحراء كمقدمة للغزو العسكري، منها رحلة كايي، والألماني هايترش بارث وجيرهارد

[1]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 323.

[2] – القس بارجاز، راهب ومستشرق فرنسي، ترجم مجموعة مخطوطات إسلامية مغاربية تاريخية.
https://en.wikipedia.org/wiki/Jean-Joseph-L%C3%A9andre_Barg%C3%A8s استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[3] – الحاج عبد القادر التواتي، فقيه تواتي قام برحلة من توات إلى قسنطينة. فارس كعوان، "الاستشراق الفرنسي والتراث التواتي: قراءة في رحلة عبد القادر بن أبي بكر التواتي بن هيبة الله"، دورية كان، المجلد: 04، العدد: 12، (جوان 2011)، ص: 42.

[4]- أحمد بوسعيد،" الخطاب الاستعماري في المجال الديني بالجنوب الجزائري أهدافه وقنواته"، مجلة آفاق علمية، جامعة تمنراست، المجلد: 12، العدد: 01، (2020)، ص: 409.

رولفس[1](Gerhardt Rohalfs) في 1864م إلى عين صالح وتوات، وبعثة العقيد" فلاتيرز[2] (Paul Flatters)سنة 1880م إلى غرداية وواد ميزاب وورقلة والأغواط وقد دفع حياته ثمناً لذلك سنة 1881م[3].

رغم ما كان يواجهه الرحالة والمستكشفون من مخاطر كانت في أغلب الأحيان تودي بحياتهم مثلما حدث للرهبان الثلاثة بوشار (bouchard) ومينيوري (menioret) وبوليمي (pouli-mier) الذين قتلوا في عين صالح عام 1876م، إلا أن مغامرات الرحالة لم تتوقف كرحلة "فيل" نحو حوض الحضنة والصحراء أواخر ستينات القرن التاسع عشر، وكذا رحلة "صولييت" إلى عين صالح في السبعينيات من نفس القرن، وإيروين دوباري[4] (Erwin von Bary) إلى الطوارق أزجير وتاسيلي، والذي توفي أثناء هذه المهمة عام 1877م في غات[5]، واهتم دو كولمب بهذا المجال حيث جمع في مذكرته ما يتعلق بواحات الصحراء غير المعروفة للجيش الفرنسي، والطرق التي تستعمل للوصول إليها، وذلك في سنة 1860م، وساهم دوفيري بكتاباته في التعريف بطوارق الشمال، كما نجح "رينيه باسي" (René Basset) في إنجاز أول عمل أكاديمي في هذا المجال تحت اسم ملاحظات عن المعجمية البربرية[6].

[1] – جيرهارد رولفس (1831–1896م)، كاتب وجغرافي ورحالة ألماني من مكتشفي إفريقيا.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Friedrich_Gerhard_Rohlfs استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[2]– بول فلاترز (1832–1881م)، عسكري ومستكشف فرنسي عر ف برحلته التي حاولت شق طريق عابر للصحراء سنة 1880م، وانتهت بمقتله هناك.https://fr.wikipedia.org/wiki/Paul_Flatters استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[3]– حميد قريتلي، السياسة الإسلامية الفرنسية في الجزائر 1870–1914، أطروحة دكتوراه التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2020، ص: 222.

[4] – أروين دوباري (1846–1877م)، رحالة ألماني من مكتشفي الصحراء الجزائرية.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Erwin_von_Bary استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[5]– يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص:423

[6] – أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص: 410.

وفي سنة 1860م أشرف كل من الرائد كولونيو والملازم بوران على حملة لاكتشاف قورارة وتوات، انطلاقاً من دائرة البيض حيث رافقا القافلة المنطلقة من البيض وسعيدة والتي كانت مهمتها بيع الحبوب والأغنام وشراء التمور، وتلتقي هذه القوافل في نقطة الأبيض سيدي الشيخ، وكانت تضم حوالي عشرة آلاف جمل وثلاثة آلاف رجل وإمراه وستة عشر ألف راساً من الغنم، وكان تاريخ انطلاقها في شهر نوفمبر تحت حماية الفرقة العسكرية بقيادة كولونيو، وبسبب ذلك كان السكان يغلقون أبواب القصور في وجوهم في كل منطقة، وحصل معهم نفس الشيء لما وصلوا إلى قلب قورارة حين قصدوا تيميمون فقابلهم السكان بالرفض ولم يفتحوا للقافلة الأبواب إلا عندما ابتعدت الفرقة العسكرية بما يساوي مسيرة يومين، ثم اتجهوا إلى توات وواجهوا نفس الموقف، لذلك قرر الضابطان العودة الى الشمال وفشلت مهمتهما[1].

ونتيجة اشتداد المنافسة التجارية مع بريطانيا ونظراً للنتائج العظيمة التي حققتها الرحلات الاستكشافية، تم اقتراح مد خطوط السكك الحديدية عبر الصحراء، نظراً لما توفره من مزايا وفوائد، فجسد مشروع كابابي بفرعيه من الجزائر العاصمة إلى ورقلة وبوسعادة، الأول باتجاه الشرق إلى تونس والثاني الى أقصى الجنوب إلى عين صالح والهقار[2].

وقد تزاحم المهندسون والمستكشفون والباحثون على دراسة هذا الموضوع حيث قدم المحامي موريس أونوري[3] رسالة دكتوراه في مجال النقل الصحراوي والتوسع في إفريقيا، وكلها كانت تلح على ضرورة أن تكون فرنسا سباقة لذلك لقطع الطريق أمام بريطانيا في الوصول إلى غرب افريقيا[4].

---

[1] – إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي**، المرجع السابق، ص: 55.

[2] – يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 334.

[3] – موريس أونوري، محامي وأستاذ قانون فرنسي، له مصنف عن النقل عبر الصحراء والتوسع في إفريقيا. ينظر:
Maurice Honoré, **Le Transsaharien et la pénétration française en Afrique**, A, Pedone Editeur, Paris, 1991.

[4] – يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 334.

لقد نظرت فرنسا للمشروع من زاوية أخرى أيضاً كونه سيؤثر على سكان المنطقة اقتصادياً واجتماعياً، وبالتالي يبتعدون عن فكرة مقاومة الاحتلال الفرنسي[1]، وبعد رحلة فلاترز تم إعداد خريطة لكل المناطق التي شاهدها في الغرب والشرق، حيث اتضحت لهم المنطقة عند دائرة عرض 32° وخط الطول 24° وعليه تم وضع مخططين لمسار السكة الحديدية[2].

- **حملة دوفيريي:**

ولد بباريس عام 1840م، ودرس بألمانيا تخصص التجارة، ولكن ميوله إلى الملاحظة وخاصة في عالم النباتات والطيور، وكذا والسفر وحب المغامرة والاستكشاف في إفريقيا، غيرت حياته وقد تأثر بالعالم "بارث" وأعجب برحلاته، وهو ما دفعه لتعلم اللغة العربية على يد المستشرق الألماني "فلايشر"، الأستاذ بجامعة ليبزيج، والذي كانت تربطه بالمستكشف "بارث" علاقات وطيدة[3].

كانت أولى رحلات دوفيريي إلى الجزائر سنة 1857م، حيث تعرف على الهضاب العليا وشمال الصحراء كالأوراس والأغواط، التي أعجب بجمالها وانجذب إليها، وخاصة بعد تعرفه على أحد الطوارق، وحينما عاد الى بلاده نشر ما سجلها أثناء رحلته عن القبائل البربرية في مجلة الجمعية الشرقية ببرلين، وكان آنذاك لم يتجاوز سن السابعة عشر، وساعده الأستاذ فلايشر على الالتقاء ببارث في لندن، والذي استفاد من خبرته في هذا المجال[4].

وكلفت الحكومة العامة بالجزائر، الشاب هنري دوفيريي بالمهمة الجديدة رغم أن حملة إسماعيل بوضربة حققت مكاسب كبيرة لفرنسا، لكونها كانت تريد معرفة رد فعل السكان من حملة يقودها فرنسي وليس عربي مسلم، فبدأ رحلته من مدينة سكيكدة في 8 ماي سنة 1859م ومنها اتجه الى قسنطينة وباتنة ثم إلى بسكرة، التي توجه منها يوم 13 جوان إلى القرارة، ومنها إلى غرداية التي وصلها

[1]- جمال قنان، المرجع السابق، ص: 144.

[2]- سميرة دعاشي، المرجع السابق، ص: 114.

[3]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 82.

[4] - المرجع نفسه، ص: 83.

يوم 21 جوان، ثم غادر نحو متليلي آملا في العثور على من يرافقه إلى بلاد الطوارق، فوصل المنيعة في الأول من سبتمبر حيث رفض سكانها التعاون معه رغم أنه تحصل على توصية كتابية من قائد أولاد سيدي الشيخ ورغم ذلك احتجزوه وحاولوا قتله ثم طالبوه بمغادرة المدينة باكراً[1].

ورغم أن دوفيريي كان لا يخفي ديانته، ولكنه كان يظهر بلباس السكان المحليين واتخذ لنفسه اسم سعد، وللإشارة فقد كان مدعوماً من قبل السلطات الفرنسية العليا بما فيها نابليون الثالث، وقد اتجه دوفيريي إلى جهة الطاسيلي عن طريق غدامس، مستفيدا من دعم الأمينوكال إيخنوخن[2]، والشيخ عثمان الذي رافقه الى غدامس سنة 1860م ثم إلى طرابلس[3].

وتم تكليف دوفيريي من طرف نابليون الثالث، الذي كان بصدد إعداد كتاب عن الصحراء في عهد الرومان، بتوفير المعلومات اللازمة، فعاد إلى غدامس ومنها إلى غات في حماية رفيقيه، عبر طريق يسلك لأول مرة من طرف الرحالة الأوروبيين، ومن بين المعلومات التي سجلها عنها أن بها أكثر من أربعة آلاف ساكن وهم خليط من البربر والعرب والسود، ولم يعامله سكانها كما كان ينتظر على عكس الطوارق الذين أحسنوا إليه، فتعلم لغتهم ولازمهم حتى في تنقلهم وترحالهم وصرف كل جهده لتسجيل ما كان يراه ويلاحظه[4].

وبعد عودته إلى الجزائر قدم دوفيريي إلى الوالي العام تقريراً وخريطة مفصلة عن مهمته، ولكنه أصيب بحمى التيفوئيد التي أثرت حتى على ذاكرته، وكان قبلها قد سجل كل ما توصل إليه بدقة في كتاب بعنوان "طوارق الشمال Les Touareg du Nord"، والذي ضمنه جغرافية المنطقة

---

[1]- إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 37.

[2] - أخنوخن أق عثمان، (1785-1886م)، زعيم آزجر، سلطنة الطوارق شرق ليبا وجنوب شرق الجزائر، وشيخ قبيلة إمنغساتن الطوارقية في القرن التاسع عشر، كان من المفروض أن يتولى منصب الأمينوكال خلفا لخاله محمد شفاو سنة 1824م، لكنه تنازل لأبن خالته محمد أق ختيتة، إلا أن قوة وتأثير شخصية "اخنوخن" غطت على ابن خالته وبقي الناس ينظرون إليه ويعاملونه على أنه الأمينوكال قام برحلة الحج وخلالها زار مصر. محمد مبارك كديده، المرجع السابق، ص: 846.

[3]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 85.

[4]- المرجع نفسه، ص: 86.

وحيواناتها ونباتاتها وسكانها، وعاداتهم وفنونهم وديانتهم، وقد تعرض دوفيريي سنة 1870م إلى الأسر من قبل الألمان[1].

ومما جاء فسي مصنف دوفيريي عن بلاد الطوارق: "في بلاد الطوارق هناك فترات من السنة تتراوح ما بين ستة سنوات إلى اثنتا عشر سنة لا تسقط بها الأمطار، وفترات أخرى ما بين السنة والثلاث سنوات تعرف تساقطاً للأمطار في كل الفصول ورغم ذلك فعند الطوارق لا يوجد هناك إلا فصولا حارة وأخرى باردة، وفي كلا الفصلين نفس الرياح ونفس جفاف الهواء ونفس كمية الضوء، وفي الغروب يكون مناخ الصحراء جد مميزا في الجهة المقابلة للقطب وبسبب هذا الجو فالصحراء يجب ان تكون هي الصحراء"[2].

وأصبح دوفيريي مستشارا لكل مستكشف يريد الارتحال عبر الصحراء، وكان منهم النمساوي أوسكار لانز، الذي كلف باستكشاف الأطلس في المغرب الأقصى من طرف الجمعية الإفريقية الألمانية حيث نصحه بأن يستكشف الصحراء بحدودها الكاملة، وتوسط له لدى اليهودي مردوشي رفيق شارل دو فوكو في رحلته إلى المغرب، لأن دوكو كانت تربطه علاقة قوية بدوفيريي، وهو الذي قدم نتائج رحلة دو فوكو إلى المغرب الى الجمعية الجغرافية، وبعد ذلك عين دوفيريي عضوا في اللجنة التي كلفت بدراسة مشروع فتح قناة تصل بحيرة جنوب تونس مع البحر الأبيض المتوسط عام 1874م[3].

- **رحلة جيرهارد رولفس:**

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي الوقت الذي نجح فيه الجيل الأول من الرحالة في الوصول إلى الطاسيلي وفزان وتمبوكتو وطرابلس ورسموا معالمها وخرائطها، وخاصة الرحالة الألماني بارث

[1]- نفسه، ص: 87.

[2] -Henri DUVEYRIER, Exploration du Sahara les Touareg du nord, Challamel aine Libraire Editeur, Paris, 1864, P: 16.

[3]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 890

والفرنسي دوفيريي، كلف الجيل الثاني باستكشاف بقية الصحراء وكان ذلك على يد رولفس وناشتيجال وفون باري والنمساوي سكارلانز[1].

ولد جيرهارد رولفس في سنة 1832م بمدينة بريم، والتحق بالجيش وهو في سن السابعة عشر ليحصل على رتبة ملازم، وقام بعدة رحلات في أوروبا وافريقيا حباً في المغامرة كما عمل بمنطقة القبائل وتعرف على عادات سكانها وتعلم اللغة العربية[2].

وفيما بين سنتي 1862 و1867م التحق بفرقة اللفيف الأجنبي الفرنسية، ومنها انطلق نحو جنوب المغرب الأقصى بداية من إقليم السوس ثم وادي درعا ثم انتقل إلى تافيلالت ثم فقيق ومنها إلى وهران، وقادته رحلته الثانية بالمنطقة نحو طنجة ومنها الى واد زيز باتجاه الأطلس ثم وادي الساورة، وبعدها دخل إيغلي فبني عباس ومنها إلى واحات منطقة توات وتيديكلت، ومنها إلى عين صالح فغدامس وطرابلس، التي انطلق منها إلى عرق مرزوق نحو تشاد، وبهذا الإنجاز الذي حققه سجل اسمه كأول مستكشف يقطع المسافة ما بين شمال البحر المتوسط إلى ساحل غانا من الجهة الجنوبية، وقادته رحلاته إلى اكتشاف العديد من الواحات في ليبيا، وقد عينته الحكومة الألمانية سنة 1878م لقيادة حملة إلى واداي ولكنه توقف عند واحة الكفرة[3].

كان يأمل أن يصل إلى تمبوكتو، التي حضّر لها لمدة عام على خطى روني كاييه ومن بين الأساليب التي اتبعها انه أعلن إسلامه وختن نفسه، ولما وصل تافيلالت استقر بها، وتعرف على خصائص الواحات هناك، وقد كان مزودا برسالة توصية من أحد أعيان وزان، إلا أنه وقع أسيرا لدى الأهالي، الذين شكوا في ادعائه الإسلام ولم ينقذه منهم إلا ثبوت عملية الختان، كما تعرض لمحاولة اغتيال من طرف دليله، وقد نجى منها وواصل طريقه من جنوب وهران إلى البحر المتوسط ، وحاول إعادة الكرة

[1]- المرجع نفسه، ص: 89.

[2]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 89.

[3]- إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 44.

للوصول الى تمبوكتو عبر الصحراء ولكن اندلاع ثورة أولاد سيد الشيخ صعّب عليه المهمة فغير طريقه عبر المغرب الأقصى مستفيداً من علاقاته السابقة مع الأهالي[1].

وقد انفرد بوصف هذه المناطق قبل وصول الفرنسيين إليها ونجح في عبور الصحراء من المغرب إلى صحراء الجزائر إلى ليبيا، بدعم مالي بسيط من مجلس شيوخ بريم والجمعية الجغرافية البريطانية، وبعيداً عن تكوينه العسكري فقد كانت رحلته ذات طابع علمي بعيد عن السياسية والتجارة، وقد وصل سنة 1866م إلى تشاد قادما من فزان وفي جوجة رحب به سلطان برونو وأغدق عليه الهدايا وبعدها رحل إلى نيجيريا ومنها عاد الى أوروبا، أين طلبت منه حكومة بريطانيا السفر مع الحملة العسكرية ضد إمبراطور الحبشة، ثم عاد إلى جنوب برقة ومصر، فيكون بذلك قد قطع الصحراء من الشرق الى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وفي عام 1874م كلفه الخديوي إسماعيل بدراسة الصحراء الليبية في محاولة لمد مياه النيل، كما طلب منه استكشاف دارفور والمنطقة الفاصلة بين واحات مصر وليبيا وفي 1879م توصل إلى اكتشاف واحة الكفرة[2].

- **حملة فلاترس:**

ولد فلاترس في باريس في السادس عشر من شهر سبتمبر عام 1832م، والتحق بكلية سان سير الحربية في سنة 1851م وتخرج منها في أكتوبر عام 1853م، وفي جويلية 1856م ألحق بمصلحة شؤون الأهالي كمعاون متربص بناحية قسنطينة، ثم رقي في جويلية 1860م إلى رئيس مكتب الشؤون العربية في تبسة، بعد عودته من المشاركة في الحملة الايطالية[3].

وقاد الضابط فلاترس حملته الأولى إلى الصحراء بداية من ورقلة في اتجاه الأغواط، وضمت العقيد فلاترس، قائد القوات العسكرية بالأغواط سابقاً والنقيب موسون (Masson) ومهندس الجسور والطرقات برانجر (Beringer)، ومهندس المناجم روش (Roche)، ونقيب سلاح المدفعية

[1]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 90.

[2]- إسماعيل العربي، نفسه، ص:91

[3]- Narcisse, **Le Livre d'or de L'Algérie**, T: 1, Challamet et ces éditeurs Libraire Algérienne et Coloniale, Paris, 1889, P: 247.

برنار(Bernard) والطبيب غيارد (Guiard)، والملازمين في فرقة المشاة لوشاتولييه (Le Chatillier) وبروسلار (Brosselard) ومهندسي الطرق والجسور كابليو (Cabaillot) ورابودان (Rabourdin)، وكانت الانطلاقة يوم 21 ماي من عام 1880م، مستعملة حوالي مائة بعير باتجاه منطقة الزاب، وخلالها اهتم فلاترس بتسجيل كل ما يتعلق بالمناطق التي مر بها كالصخور والنباتات والأودية والبساتين والحيوانات، ثم اتبعت البعثة مجرى وادي ميزاب، فمنذ خروجها من قرية العطف في 26 ماي وصولا إلى غرداية حيث وجدوا كل الترحيب من طرف رئيس جماعة بني يزقن الحاج يوسف، ثم غادرت باتجاه بريّان، ومنها إلى الأغواط التي وصلتها في 3 جوان حيث استضافهم بيلان (Belin) القائد الأعلى للمنطقة[1].

ومن الأغواط اتجه الكولونيل فلاترس وفرقته جنوبا بهدف التعرف على مجرى واد ايغرغر، وفي نفس الوقت تسجيل الملاحظات العلمية التي ستكون المهمة الثانية لأشغالهم[2]، وكان انطلاق القافلة، المتكونة من ثلاثين رجلا مكلفين بالحراسة وما يزيد عن الخمسين جملا إضافة الى الدليل، يوم 04 مارس نحو تماسين، واتبعوا في ذلك طريق بوضربة، ومن خلال المعلومات التي جمعوها أدركوا أن وصولهم لعين صالح لابد أن يمر على واد مية، وبعد وصولهم لسبخة البيوض التي أقاموا بها يومي 25 و26 مارس، ثم إلى تماسين في أول أبريل، ومنها أرسل فلاترس مكلفا بحمل رسائله إلى الطوارق، وكذلك رسائل مرابطي الطريقة التيجانية لتسليمها لرؤساء قبائل إيفوغاس[3] وأوراغن والشيخ إيخنوخن، ثم اتجه إلى الجنوب الشرقي حيث التقى بعدد من شخصيات الطوارق، الذين سمحوا له بالوصول إلى منغوغ لكن توقفت رحلته الأولى هناك، حيث أخبروه أنه لا يتم أي اتفاق معه قبل مقابلة إخنوخن.

---

[1]- إبراهيم مياسي، **التوسع الفرنسي**، المرجع السابق، ص: 62.

[2]- Henri brosselard, l**es deux missions Flatters au pays des touareg du nord azdjer et Hoggar**, éditeur bouvet, Paris, p: 51.

[3] – قبيلة من الطوارق تتوزع بين الجزائر ومالي والنجير.https://fr.wikipedia.org/wiki/Ifoghas استرجع بتاريخ: 2025/04/09.

وبعد توقف المرحلة الأولى من بعثة فلاترس بسبب مقاومة الطوارق لها، انطلقت المرحلة الثانية يوم 04 ديسمبر عام 1880م، والتي وصلت في 18 يناير إلى امقيد بعد أن تتبعت مجرى واد مية ثم إلى تماسين وفي 16 من شهر فبراير عند وصول فرقة فلاترس إلى بير الغرامة هاجمته مجموعة من الأدلاء من الطوارق، حيث كان مصيره القتل مع من كانوا برفقته مثل ماسون وروش، ورغم ذلك حققت هذه الرحلة نتائج كبيرة فيما يخص معرفة طرق القوافل ما بين القليعة الى ورقلة وما بين عين صالح الى عسيو وغات وغدامس[1].

وقد حذر أحد العبيد من الإيفوغاس الضابط فلاترس حول الأخطار التي سيتعرضون لها إذا توغلوا أكثر في الصحراء، وفي الثاني من شهر يناير كتب صحفي إيطالي مقال بعنوان المجزرة المقبلة، جاء فيه "أن القائد الأعلى للبيّض، أُخبر أن اثنين من شعانبة القليعة جاؤوا من تيديكلت صرحوا أنهم وجدوا في عين صالح أهيقتال ومعه أربعمائة طوارقي يريدون سحق بعثة فلاترس، فالمسؤولية المباشرة والأخلاقية عن الجريمة هي على أهيقتال ولد قراجي والطوارق عامة وأولاد سيدي الشيخ والشعانبة وأهل عين صالح على درجات مختلفة، وكذلك أولاد باجودة حيث على أراضيهم ارتكبت المجزرة"[2].

هذا المصير لم يقتصر على فلاترس بل شهده العديد من الرحالة والمستكشفين أمثال الضابط مارسيل بالا[3] (Justin-Marcel Palat) قرب عين صالح سنة 1886م، والضابط كاميل دول[4] (Camille Douls) سنة 1889م، في المنطقة الموجودة بين أقابلي وأولف، والرهبان الثلاثة ريتشارد

---

[1]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 324.

[2]- Alfred le Chatelier, **Questions sahariennes –Touat chaamba touareg–mission dans le sud Algerien**, **Juin Aout 1890**, Librairé de l'université de michigan, p: 15.

[3] - جاستن مارسيل بالا (1856- 1886م)، ضابط فرنسي ومستكشف، قتل قرب عين صالح، وهو متجه لتمبكتو. https://labibliothequemondialeducheval.org/bmdc/biobiblio/doc/pddn_p.BMC_4370.html استرجع بتاريخ: 2025/04/09.

[4] - كاميل دول (1864-1889م) مستكشف فرنسي، قام برحلات في الصحراء الغربية الجزائرية، قتل في منطقة أقبلي. https://fr.wikipedia.org/wiki/Camille_Douls استرجع بتاريخ:2025/04/09.

(Richar) وبوبلار (Pouplarl) وموراً (Morat) عام 1881م قرب مدينة غدامس، وهو الشيء الذي دفع السلطات الفرنسية إلى بناء المزيد من المراكز العسكرية المتقدمة، وإعادة النظر في تنظيم عمليات الغزو وإرسال المزيد من البعثات والحملات، التي كان أشهرها حملة فورو ولامي[1] (Mission Foureau-Lamy) عام 1898م، والتي سخرت لها الحكومة الفرنسية إمكانيات ضخمة[2].

- **رحلة لارجو:**

انطلقت هذه الرحلة سنة 1874م، لاستكشاف الصحراء ولأجل تحقيق هدفين رئيسيين أولهما تجاري وثانيهما علمي، وقد ركز لارجو[3] (Léon Victor Largeau)، على جلب القوافل التجارية القادمة من السودان وتوجيهها نحو المستعمرة الفرنسية، تلك القوافل التي أصبحت منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر تتجه نحو المغرب وطرابلس وتتجنب التوجه نحو الجزائر، وكان يسعى لتقديم الأدلة العلمية على غنى منطقة السودان والبحث عن سبل تجسيد مشروع خط حديدي عبر الصحراء لربط الجزائر بالنيجر واحتكار التجارة هناك[4].

لقد كان مشروعا يستهدف تغيير النظرة النمطية التي كانت سائدة عن الصحراء، عبر تلك ملاحظات المسجلة والشهادات المستخلصة من أفواه الرجال، فقمم الأطلس في قلب الصحراء تخرج منها المياه التي إن لم تتبخر بفعل المناخ فإنها تذهب إلى طبقات غير عميقة تحت سطح الأرض،

---

[1] – حملة استكشافية علمية وعسكرية بين سنوات 1898- 1900م، قاداها الجغرافي فيرنان فورو (Fernand Foureau) والرائد فرنسوا لامي (François Lamy)، استهدفت اختراق الصحراء وصولا للسودان الفرنسي جنوبا.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Mission_Foureau-Lamy استرجع بتاريخ: 2025/04/09.

[2]– يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 325.

[3] – ليون فيكتور لارجو (1842- 1897م)، إداري ومستكشف فرنسي، نظم رحلة علمية وتجارية نحو غدامس سنة 1874م.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Victor_Largeau استرجع بتاريخ: 2025/04/08.

[4]– M.V. Largeau, "Le Sahara algérien", le tour du monde nouveau journal des voyages, Paris, p: 01.

والواحات تضمن وجودها بسبب تلك المياه ولهذا حث حكومة بلاده على تجسيد مشروع خط حديدي يربط الجزائر بالسودان والسنغال ومن الأحسن إنشاء واحات متتالية مسقية تجعل تلك المسالك رائعة[1].

وأُعجب لارجو كثيرا بمدينة بسكرة ووصف شكلها العمراني، وذكر انه بها مدينتين، المدينة الفرنسية أو بسكرة الجديدة تكثر بها الخضرة بسبب كثرة الحدائق، وبسكرة القديمة بأحيائها السبعة المتناثرة داخل الواحات وأكثر المدن أهمية بالنسبة للمسلمين في منطقة الزيبان هي سيدي عقبة، أين يوجد ضريح الفاتح العربي الكبير في القرن السابع الهجري وهي تحمل اسمه[2].

ومن المواضيع التي كتب عنها لارجو تلك ظواهر التي كانت تفرض نفسها في الصحراء، ومنها المكانة التي كان يتمتع بها المرابطون في مختلف العلاقات سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، ومنها ظاهرة اللصوصية وانتشار قطاع الطرق، فقد أورد، أنه أثناء سيرهم في الطريق مع فرقته من الشعانبة التقوا بشيخ مرابط كان يحمل رسالتين من طرف شيخ عين صالح، واحدة لآغا ورقلة والأخرى لجماعة الشعانبة، ففتحت جماعة الشعانبة الرسالة الموجهة لهم وكان محتواها أن أحد الروم طلب من الشعانبة اصطحابه إلى عين صالح، وقد سمع شيخ عين صالح إن ابن مويسة هو من يحاول مساعدة الرومي وحتى ابن مولاي الطيب، الذي يقود الرومي نحو بلاد عين صالح، وسيكون مصيرهما الاثنين القتل، كما أشاع مبعوث لارجو إلى شيخ عين صالح أنه بحوزته عشرين جملا محملا بالأموال، وهو ما جعل العصابات تسير في أثره وتطارده، كما ذكر لارجو ان بوسعيد ابن الغوثي قاتل الرحالة إيروين دوباري، انتقاما لمقتل أخيه، قد لقي هو الآخر مصرعه في طريق غات على يد أحد رجال لارجو[3].

- **رحلة ليون فابر:**

كلف المستكشف ليون فابر[4] (Leon Faber)، من قبل الحكومة الفرنسية بعبور بلاد المور وترارزة والجهة الغربية للصحراء الكبرى (مناطق تيندوف)، والاهتمام بدراسة منطقة أدرار بموريتانيا، وكان

[1] -Ibid.

[2] -Ibid, P: 2.

[3] -Ibid, P: 78.

[4] – صحفي ومستكشف فرنسي، كان يعمل لصالح المؤسسة الاستعمارية الفرنسية.

يستهدف ملاحظة جهة الأطلس ما بين سان لويس ومحطات التوقف الدولية السابقة "لبورتنديك"، ويتوافق ذلك مع خط سير رحلة "فانسان" و"بولمقداد" لعام 1860م[1]، ولما وصل بلاد المور، الترارزة وجدها مضطربة، على عكس السابق، وكان ذلك ناتجا عن الصراع بين أبناء الأسرة الحاكة للمنطقة[2].

واتجهت البعثة نحو "تانيرا " ثم "حريش"، على بعد ثلاثة أيام من أدرار، وبعث قائد الرحلة برسائل صداقة لكل من ولد سويد وأحمد ولد عيدا والشيخ يحي بن عثمان، مع اثنين من الطلبة، وقد وصله الرد بالقبول وكان قد تعرف سابقا على أحمد ولد سويد عام 1890م، عند الموريين البراكنة في مخيم "سيدي اللاي"، وفي السادس عشر من نوفمبر قرر الاتجاه إلى الأطلسي[3].

- **رحلة ايزابيل ايبرهاردت:**

ولدت ايزابيل ايبرهاردت سنة 1877م، في ناحية جنيف فتعلمت هناك الفرنسية والألمانية والروسية وحتى العربية، وكان والدها قسيسا، تأثر بالإسلام، ووالدتها نتاليا دوروثيا شارلوت، توفيت بالجزائر ودفنت في مقابر المسلمين بمدينة عنابة، وهي تحمل اسم فاطمة المنوبية، وبعد أن فقدت والديها ورغم أن امكانياتها المادية كانت ضعيفة إلا أنها قررت السفر والترحال، فاتجهت إلى تونس ثم دخلت شرق الجزائر وشمال الصحراء، وهي لم تتجاوز الثانية والعشرين، وتأثرت إيزابيل في الجزائر بحياة المسلمين فكانت تظهر بمظهر الرجال وتركب الخيل وسمت نفسها سي محمود بل اعتنقت الإسلام وتزوجت من

https://www.ader-paris.fr/lot/96346/10401367-leon-fabert-1848-1896-journaliste-et-explorateur-redacteur?search& استرجع بتاريخ: 2025/04/19.

[1] – النقيب فانسان والمترجم بولمقداد مستشار قاضي مدينة سان لويس، كلفا من قبل حاكم السنغال الفرنسي، بالقيام برحلة استكشافية لنواحي أقاليم أدرار وشنقيط، وقد تمكن بولمقداد من عبور المنطقة وصولا إلى الصويرة بالمغرب، جامعا كما كبيرا من المعلومات. الرائد جلييه، **التوغل في موريتانيا، اكتشافات، استكشافات، غزو**، ترجمة: محمد ولد حمينا، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكوي، 2007، ص- ص: 95- 104.

[2]- Leon FABER. Voyage dans le pays des Trarazas et dans le Sahara occidental, Sociétéde Géographie, 1892, p: 375.

[3]- Ibid, p: 386.

سي سليمان وهو منخرط في فرسان الصبائحية، وانضمت للطريقة القادرية، وفي عام 1901م حاول أحد أتباع الطريقة التيجانية القضاء عليها[1].

ولم تعترف لها السلطات الفرنسية بذلك الزواج، كما كانت تصرفاتها مثار قلق فقامت بطردها، فرحلت الى مرسيليا والتحق بها سي سليمان، حيث وثقت زواجها، مدنيا مما جعلها تتحصل على الجنسية الفرنسية وبالتالي سهل عليها العودة الى الجزائر، وكانت ايزابيل تقضي أوقاتها في زيارة المساجد والتنقل بين الواحات والقرى والأسواق ومخالطة نساء المسلمين، وظلت تتنقل على ظهر فرسها.

وكانت تسجل كل ما له علاقة بحياة المسلمين في المناطق التي زارتها، وقد شجعها على ذلك محتل المغرب وحاكمها، "الماريشال ليوتي"[2] (Hubert Lyautey)، الذي كان مهتما بما تكتبه والرسائل التي كانت تبعث بها إليه، في حين كانت تصرفاتها تثير الشكوك لدى البعض خاصة لما كانت تبدي معارضتها للسياسة الفرنسية الاستعمارية، حتى لقبت بالكاهنة الجديدة، وطالما نفت عن نفسها أن تكون لها أهداف سياسية وإنما هي مولعة بالمغامرات والسفر والاستكشاف في الصحراء، وتوفيت سنة 1904م إثر الفيضانات التي عرفتها مدينة العين الصفراء[3].

- **رحلة مارسيل بالا:**

استغل "بالا" وجود سي حمزة خليفة أولاد سيدي الشيخ بباريس، حيث كان في زيارة للحكومة، فعرض عليه مساعدته في مشروع رحلته وقد كان يعرفه من قبل، فوعده بذلك وبمرافقته حتى عين صالح.

وفي 14 من شهر أوت عام 1885م وصل بالا إلى مدينة سعيدة وغادرها في 27 سبتمبر إلى مدينة البيّض، بمرافقة اثنين من الأهالي وهما، بلقاسم بن سعدي وكان مترجما، وفراجي، وفي 17 أكتوبر رحل من البيّض، غير أن سي حمزة لم يتمكن من الحضور فأرسل له أحد أقاربه وهو بلعربي ولد نعيمي،

[1]- جورج غير ستير، المرجع السابق، ص: 106.

[2]- هوبار ليوتي (1854- 1934م)، مريشال فرنسي وعضوا الأكاديمية الفرنسية، والرجل الذي ينب إليه احتلال المغرب وفرض نظام الحماية عليه. https://fr.wikipedia.org/wiki/Hubert_Lyautey استرجع بتاريخ: 20205/04/09.

[3]- جورج غير ستير، المرجع السابق، ص:107

ليرشده حتى قورارة، وكان المرابط سي قدور من أولاد سيدي الشيخ آغا البيّض، سيتكفل بمرافقته حتى تيديكلت ليصبح بين أيدي شيخ عين صالح عبد القادر ولد باجودة، فاتجه أولا من البيّض نحو القوليا عبر بريزينة، متبعا مجرى واد صقر وبئر بوزيد، وعند وصوله كان عليه مقابلة حاكم منطقة ميزاب، ويتوجه بعدها نحو عين صالح، لكنه تعرض للقتل قبل الوصول إلى عين صالح[1].

وحول مأساة مقتله يروي فراجي الأسود الناجي الوحيد أن سي قدور بعث لشيخ عين صالح برسالة يعلمه حتى يستقبل البعثة، وفي اليوم الخامس من الوصول إلى "أقروت" رفض المرافقان التوجه مع بالا إلى "دلدون"، بسبب تمركز عدوهم بوعمامة بالمنطقة، فقرر بالا الذهاب من دونهما مع مرافقيه بلقاسم وفراجي، وكان بوعمامة على علم برحلته فأحسن استقباله طيلة مدة اقامته عنده، وكانت ثمانية أيام، وفي 16 فبراير غادر بلا نحو أقروت للقاء بلعربي، الذي أخبره أن الجمال قد حضرت من عين صالح، فأرسل بوعمامة رجاله للتأكد من وصول الجمال، وعندما لم يجدوها ذهبوا لتقفي أثاره، فعرفوا أنه لم يأخذ طريق عين صالح وأنّ المهاري التي رأوها كانت لأولاد با حمو، ولما تتبع رجال بوعمامة الطريق وصلوا متأخرين، فقد اتجه إلى أوقروت صباح يوم الخميس 18 فبراير وبعد أيام وجدوا جثته عند حاسي الشيخ على بعد أربعة أيام مشيا غرب عين صالح، كما عثروا أيضا على جثة بلقاسم[2].

لما استعلم بوعمامة من شيخ عين صالح، وجده لا علم له بالبعثة، فأرسل الشيخ عبد القادر مائتين وخمسين من رجاله للبحث عن أولاد با حمو، الذين تم توقيفهم، وقد تمت تبرئة بوعمامة والشيخ عبد القادر واتهمت قبائل العرب البدو أولاد با حمو وعصاباتها، التي كانت تتحرك في كل المنطقة وبسبب ذلك حتى العرب كانوا لا يسافرون إلا مسلحين وفي جماعات[3].

ثالثاً: موقف السكان المحليين من حملات الاستكشاف

[1]- Paul Vuillot, **l'exploration du sahara** ,Augustin Chaliamel Editeur, Paris ,1895, p :223.

[2] -Ibid, p: 225.

[3] -Ibid, p: 226.

نجح الجنرال "توماسين"[1] (François Achille Thomassin)، في عقد صلح مع أولاد سيدي الشيخ، فساعد ذلك على تحقيق الاستقرار بالمنطقة وكسب العائلات والقبائل التابعة روحيا لأولاد سيدي الشيخ، تمهيداً لانتقال الفرنسيين إلى عمق الجنوب، كما أن إلحاق السلطات الاستعمارية لهذه المناطق بالحكم العسكري عن طريق المكاتب العربية، ساعد في تكوين قوة عسكرية ومادية من قبائلها، شكلت عوناً على التوسع داخل الصحراء[2].

وعل العكس من ذلك كانت الجهة الشرقية أكثر إصرارا على مقاومة التوسع الفرنسي، فلجأت فرنسا إلى أسلوب الضغط الاقتصادي على سكان الجنوب، باستغلال علاقتهم بمدن شمال الصحراء، ونتيجة تخوف فرنسا من أن تستغل الدول المجاورة هذا الوضع لمساعدة المقاومة من جهة، وأن تنتقل المقاومة نحو الشمال، أخذت تسارع الخطى لاحتلال كامل الصحراء[3].

ومنذ سنة 1893م بدأت فرنسا في بناء الحصون كحصن "مريبال" (Fort Miribel)، على مائة وخمسة وثلاثين كيلومترا جنوب المنيعة، حيث حاسي الشبابة عبر تادميت إلى عين صالح، إضافة الى حصن "مكماهون" (Fort Mac-Mahon) بالقرب من حاسي العمار، الذي يبعد عن جنوب غرب المنيعة بمائة وخمسة وستين كيلومتر، ناحية وادي اميقيدان المحاذي لتيكورارين، كما سيطرت على الأبيض سيدي الشيخ وجنين بورزق عام 1895م، وفي سنة 1897م نقلت المركز العسكري بالمنطقة إلى المنيعة[4].

وفي هذا الإطار رصدت السلطات الفرنسية أموالاً ضخمة لتغطية المنطقة بمجموعة كبيرة من العيون والجواسيس والمخبرين في أشكال مختلفة، سواء كعسكريين أو أطباء أو مشردين أو حتى رجال

---

[1]- فرنسوا أشيل توماسين، (1827-1919م)، عسكري فرنسي بلغ رتبة جنرال، وكانت له أدور مهمة في الجزائر، وقادة الحملة العسكرية ضد ثورة أولاد سيد الشيخ. https://fr.wikipedia.org/wiki/Fran%C3%A7ois_Achille_Thomassin استرجع بتاريخ: 2025/04/09.

[2]- إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 165.

[3]- جمال قنان، المرجع السابق، ص: 146.

[4]- إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 167.

دين متنكرين في هيئة السكان المحليين، والهدف الرئيسي من ذلك هو صد أية مقاومة تهاجم تلك المراكز أو تعرقل تقدم فرنسا، خاصة تلك القبائل التي لم تعترف بالسلطة الفرنسية وظلت تتحرك عبر الصحراء وباتجاه المغرب مما كان يشكل تهديدا لوجودها[1].

وشهدت سنة 1899م تسيير فرنسا لحملة عسكرية لاحتلال المنطقة الممتدة من تيديكلت وعين صالح إلى توات والقرارة، ولأنه في كل مكان كانت تواجهها المقاومة الشرسة اقتنع الفرنسيون أن الصحراء لا يمكن السيطرة عليها إلا بالحكم العسكري، والذي بدأت في تنفيذه فعليا ابتداءً من سنة 1902م[2].

- **احتلال عين صالح:**

مثل احتلال عين صالح أهم إنجاز للاستعمار الفرنسي مطلع القرن العشرين كونها نقطة استراتيجية في طريق احتلال منطقة توات والهقار، إضافة إلى كونها عبارة عن تجمع سكاني كبير، يعيش أفراده بتلك الواحات المنتشرة في قلب الصحراء المقفرة، وتعد عين صالح كذلك مركزا هاما للتسوق والتموين بالنسبة لسكان الناحية، وبالتالي فاحتلالها بالنسبة لفرنسا هو وسيلة اقتصادية لإخضاع تلك المناطق للسيطرة الفرنسية.

عين الرائد بومقارتن[3] (Maurice Baumgarten) الملازم كلوستر" (Claustre)، لدخول غرب عين صالح، فوصل عين غار دون مقاومة مما شجع بومقارتن على الالتحاق به رفقة مائة جندي وفريق من الصبائحية ومائة وعشرين من القومية وكان ذلك يوم 24 فبراير عام 1900[4].

وبع ذلك تلقى بومقارتن أمرا من وزير الحربية للتراجع، لأنه رأى أنه من الأفضل احتلال المنطقة على مراحل، عكس الوالي العام الذي كان يلح على الإسراع في احتلالها قبل أن ينظم السكان صفوفهم

---

[1] – المرجع نفسه، ص: 167.

[2]– عبد الله شريط، محمد الميلي، **الجزائر في مرآة التاريخ**، طبع ونشر مكتبة الشعب، الجزائر، 1965، ص: 213.

[3] – ضابط فرنسي، شارك كرائد في الوصول إلى عين صالح، وكان له حضور مهم خلال الحرب العالمية الأولى كجنرال.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Maurice_Eug%C3%A8ne_Fran%C3%A7ois_Baumgarten استرجع بتاريخ: 2025/04/09.

[4]– إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار**، المرجع السابق، ص: 111.

ويطلبون العون من المغرب الأقصى، وبعد ذلك تمكنت القوات الفرنسية من احتلال إيغلي بقيادة برتران (bertrand)، الذي سلك الطريق المحاذي لواد زوزفانة ودخلها دون مقاومة يوم 5 أبريل من سنة 1900م، بخمسة وسبعين ضابطاً وألف وسبعمائة وخمسة وسبعين رجلا[1].

- **معركة الفقيقيرة:**

قاد الأستاذ والجيولوجي فلامون[2] (Georges-Barthélemy Flamand) بعثة علمية باتجاه عين صالح سنة 1899م في إطار التنافس الأوروبي لاقتسام إفريقيا، مستهدفا بالدرجة الأولى دراسة منطقة تادميت من الناحية الجيولوجية، والمناخية وما تحتويه من مياه جوفية، وكان هذا غطاء لحملة عسكرية دعمها الوالي العام لافريار[3] (Édouard Laferrière)، وسارت تحت حماية رئيس المكتب العربي بورقلة النقيب "بان" (Pein)، الذي وفر لها مجموعة عسكرية قوامها تسعين من مستعملي المهاري، إضافة الى خمسة عشر فارساً، كما انظم اليهم مقدم الطرقة القادرية بمدينة ورقلة رفقة أربعين من رجاله، وقد قتل في المواجهات الأولى بعين صالح[4]، وقد تكفل النقيب جرمان بحماية ظهر البعثة التي اتبعت طريق فلاترس باتجاه ورقلة في 28 نوفمبر1899م، ووصلت يوم 09 ديسمبر إلى حاسي اينقل ثم حاسي سوقي ثم رق اجمار ثم إلى واحة ايقسطن[5].

وقد علم أهالي عين صالح والمناطق المجاورة لها بأخبار هذه البعثة وما تهدف إليه، فاستعدوا للدفاع عن أراضيهم، حيث تجمعوا في منطقة الفقيقيرة التي تبعد إلى الشرق من عين صالح بعشرين كيلومتر، وهناك واجهوا عناصر البعثة المقدرة بحوالي سبعمائة جندي بأسلحتهم الحديثة، وهو ما رجّح كفة البعثة

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 112.

[2] - جورج فلاماند (1861-1919م)، جيولوجي فرنسي ومستكشف وخبير بالصحراء.
https://www.persee.fr/authority/175168 استرجع بتاريخ: 2025/04/09.

[3]- إداورد لافريار (1841-1901م)، محامي وقاضي فرنسي والحاكم العام للجزائر سنوات 1898-1900م.
https://fr.wikipedia.org/wiki/%C3%89douard_Laferri%C3%A8re استرجع بتاريخ: 2025/04/09.

[4]- إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 168.

[5]- المرجع نفسه، ص: 169.

الفرنسية أمام قوات القائد "الحاج باجودة"، الذي أصيب في المواجهة بجروح قاتلة أدت الى استشهاده، إضافة الى القائد "الحاج سيدي بابا ابن الحاج"، وابن المهدي باجودة " وأخيه "بوعمامة " و"ديدي محمد العربي"، وغيرهم من أعيان عين صالح، وفقدت المقاومة خلال هذه المعركة خمسين من رجالها ومائة وخمسين جريحاً إضافة الى الخسائر المادية، وفي المقابل تمكنت القوات الفرنسية من اقتحام قصبة عين صالح ونصبت الراية الفرنسية عليها، وشرعت في التخطيط للتوجه نحو القصور الأخرى[1].

- **معركة الدغامشة:**

أراد سكان القرى والقصور المجاورة كعين غار وأقابلي وتيط وأولف الإنتقام من القوات الفرنسية، فتجمع الثوار يوم 4 يناير 1900م، باينغر الموجودة حوالي خمسة وستون كيلومترا غربا عين صالح، تحت زعامة "الرقاني مولاي عبد الله العباس"، ثم تمركزت قوات الثوار المقدرة بألف مجاهد بمنطقة البركة خمسة كيلومتر إلى الغرب من عين صالح، ووقعت المعركة اليوم الموالي، لكن شجاعة الثوار لم تكن كافية أمام الآلة العسكرية والتخطيط الاستراتيجي والأرض المكشوفة، إضافة الى انفجار برميل البارود في الثوار، مما أنهى المعركة لصالح الفرنسيين، الذين استفادوا من التفوق المادي ووشاية العملاء، فخسرت المقاومة مائة وخمسين من رجالها وجرح لها مئتي رجل[2].

وبانتصار القوات الفرنسية في معركة الدغامشة تمكنت من بسط نفوذها على كامل منطقة عين صالح الاستراتيجية بالنسبة للمشروع الفرنسي، حيث تتوسط الطريق بين الجزائر وتمبوكتو جنوبا ومقادور غربا وطرابلس شرقا، كما أنها تربط شمال القارة بالسودان، وبعد ذلك عاد فلامون إلى مدينة الجزائر حيث استقبل من طرف الحكومة العامة فقدم عرضه الشامل عن تلك المهمة التي عاد منها بنتائج تخص المجال الجيولوجي وطرق الري بالواحات والملاحظات الفيزيائية والفلكية، إضافة الى ما تزخر به المنطقة من ثروات اقتصادية وما يمكن أن توفره لفرنسا من علاقات مع شعوب الصحراء وجيرانها من السودان[3].

---

[1]- نفسه، ص:171

[2]- نفسه، ص: 172.

[3]-نفسه، ص، ص: 174، 175.

- **ثورة توات وقورارة:**

في يوم 07 أبريل عام 1900 تحرك طابور العقيد مينيسترال[1] (Frédéric Menestrel)، انطلاقاً من المنيعة نحو قصور قورارة بقوة تعدادها ثمانمائة رجل ومدفعين، ولكن السكان واجهوا القوات الفرنسية التي لجأت إلى طلب المدد من منطقة البيّض، والتي أمدتها بأربعمائة جندي مما مكنها من اقتحام تيميمون يوم 12 ماي وإخضاعها، وهو ما شجع مينيسترال على إخضاع قصور المنطقة فوصل يوم 31 ماي إلى قصر" زوا" وقصر" دلدول"[2].

وبعد سقوط مدينة تينقوراين مع بداية القرن العشرين 1900م، ونتيجة للدمار الذي لحق بالمنطقة اضطرت جماعات كبيرة من سكانها إلى الهجرة من إقليم توات هروباً من التمشيط وقصف المدافع، وبالموازاة وحتى لا تتجدد الانتفاضات ضدها، لجأت فرنسا إلى أسلوب جديد يركز على استدراج رؤساء وأعيان المناطق بهدف دمجهم في المشروع الفرنسي[3].

وقاد العقيد " أو" يوم 19 مارس 1900م، قوات ضخمة تزيد عن الألف رجل معهم مدفعين، إلى عين غار، فحاول سكانها المواجهة، لكن قصف القصور بالمدفعية دفعهم الى استسلام بعد الخسارة الكبيرة المادية والبشرية، وتم أسر قائدهم "الباشا إدريس"، الذي نقل إلى عين صالح[4].

وواجه الطوارق القوات الفرنسية بقيادة الضابط "كوتنيس"(Cottenes)، في معركة "تيت" يوم 7 ماي 1900م، كما قاد الجنرال ليوتي، فرقا عسكرية وحاميات على الحدود مع المغرب في سنة 1909م، فسيطرت قواته على التحركات في المنطقة، وخاصة بعد إنشاء سكة الحديد الرابطة بين المحمدية وسعيدة وبشار من أجل ضمان المواصلات للقوات الفرنسية ومدها بما تحتاجه، وبعد احتلال

---

[1] – فريديريك مينيسارل (1848– 1919م)، جنرال فرنسي عمل بالجزائر منذ سنة 1897 وحتى 1910م.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Fr%C3%A9d%C3%A9ric_Menestrel استرجع بتاريخ: 2025/04/09.

[2] – إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار**، المرجع السابق، ص: 114.

[3] – محمد الأمين بولغيث، **تاريخ الجزائر المعاصر، دراسات ووثائق، ط: 04**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص:57

[4] – المرجع نفسه، ص: 113.

جانت عام 1911م، تمكنت فرنسا من ربط الجزائر بالسودان الغربي والشرقي عبر كل من مالي وتشاد[1].

- **التوغل نحو تيت:**

تزامنت فترة التوسع الفرنسي بالهقار مع زعامة "الأمينوكال موسى آق منستان"، وفي عهده وقعت معركة "تيت" الشهيرة عام 1902م، بين الطوارق والقوات الفرنسية بقيادة الضابط "كوتنيس"، وكعادتها استغلت فرنسا ظروف المنطقة، فعمد قائد منطقة عين صالح إلى تأليب وتحريض بعض أهالي تيديكلت خاصة المنطقة الشرقية، ضد الطوارق بسبب اعتدائهم على قوافلهم التجارية[2].

وانطلقت القوات الفرنسية يوم 23 مارس 1902م بهدف ترهيب الطوارق وإخضاعهم بالقوة، ولكنهم تجمعوا يوم 26 مارس بمنطقة حاسي الخنيق وخاصة قبيلة كال مويدير، حينها لجأت القوات الفرنسية إلى محاولة عقد صلح معهم وتركت لهم حرية رعي حيواناتهم على ضفاف وادي بوثا، غير أن القوى العسكرية كانت قد تمركزت بين كال مويدير والأزقر، لحصارهم والحد من تحركاتهم نحو الشرق طلباً للمساعدة أو الفرار[3].

وفي الثامن من شهر أبريل أُخبرت قيادة الحملة أن أفراد كال مويدير قرروا الوقوف في وجهها ومنعا خاصة من الحصول على مياه بئر الغريس، وهو الوحيد في منطقة امقيد، فسارت القوات الفرنسية إلى "حاسي اسكسام" للحصول على الماء، وكان على القافلة أن تصل إليه بأسرع ما يمكن بسبب هبوب رياح الشهيلي على المنطقة فوصلت يوم 09 أبريل، وبعد ان أكملت القوات الفرنسية مهمتها ومشطت المنطقة للقضاء على أية مقاومة ممكنة، وبعد فرار قبيلة كال مويدير إلى "تيفيداست"، اتجهت القوات الفرنسية نحو "تيت" بهدف اخضاع منطقة الهقار[4].

- **معركة تيت:**

---

[1]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 328.

[2]- مياسي إبراهيم، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 197.

[3]- المرجع نفسه، ص: 198.

[4]- المرجع نفسه، ص: 199.

بعد أن انهت القوات الفرنسية مهمتها في كال مويدير واصلت تقدمها يوم السابع من شهر ماي إلى الشمال الغربي بحوالي ثلاثة كيلومتر، وهناك واجهتها الفرق الأولى من تيت، فأعطى القائد الفرنسي أوامره لقواته لكي تتوزع عبر واد تيت والصخور العملاقة بحثا عن الثوار، لكنها تفاجأت بوجود قوات طوارقية يقارب عددها الثلاثمائة مجاهد في بطن الوادي، قادمين من الناحية الشرقية، وقد التحم الثوار مع القوات الفرنسية باستخدام مختلف الأسلحة بما فيها البيضاء، وساعد التحاق بعض الحلفاء المحليين بالقوات الفرنسية، إضافة الى غزارة الأمطار المتساقطة، على تفوق كفة الفرنسيين وخسارة الطوارق للمعركة وفقدانهم لستة وتسعين شهيداً وخسائر مادية معتبرة من المهاري والأسلحة[1].

وفي اليوم التالي انشغلت القوات الفرنسية بدفن موتى حلفائها من قبيلة أولاد المختار، وحملت معها جثة خادمها المترجم عبد المجيد بن سماعيل، بعد أن حطمت أسلحة الثوار، وصلت يوم الثالث والعشرين ماي إلى عين صالح قاطعة مسافة ستمائة وستة وثمانين كيلومتر، وقد أشارت البعثة إلى ضرورة احتلال كل المنطقة رغم أن الضابط كوتنيس ضيّع كل ما دونّه وصوره عن طوبوغرافية المنطقة[2].

وبحلول القرن العشرين وخاصة بعد أن انتهت الحملات الكبرى ما بين 1900-1903م كانت فرنسا قد سيطرت على كل واحات الجنوب الوهراني وشرعت في تنظيم المنطقة إدارياً، حيث وضعت لها تنظيماً خاصاً تحت إشراف القبطان "لابيرين"[3] (Henry Laperrine)، الذي اتخذ من عين صالح قاعدةً لإدارته ونجح في إقناع صديقه "دو فوكو" للانتقال إلى تامنغست لتدعيم جهوده في السيطرة على منطقة الهقار[4].

- **ثورة الهقار 1916 – 1919م:**

---

[1]- انفسه، ص: 200.

[2]- نفسه، ص: 205.

[3]- هنري لابيرين، (1860-1920م)، ضابط ومستكشف فرنسي حاز رتبة جنرال، عمل بالصحراء وهو مؤسس جهاز المهاريست، جمعته صداقة بشارل دوفوكو. https://fr.wikipedia.org/wiki/Fran%C3%A7ois-Henry_Laperrine استرجع بتاريخ: 2025/04/09.

[4]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 327.

قاد الشيخ عبد السلام أحمد سلطان ابتداءً من سنة 1916م هجومات متواصلة شملت منطقة جانيت وتاغيت والهقار، وكان من بين العوامل المساعدة على اندلاعها استغلالهم للحرب العالمية الأولى (1914-1918) ليثوروا ضد القوات الفرنسية مستخدمين البنادق، والأسلحة الحديثة التي أخذوها من الجيش الإيطالي المحتل لليبيا سنة 1912م، فهاجموا أولاً الحصن العسكري بجانت تحت قيادة الضابط "لوران لابيير" (AURENT LAPIERRE)، وحاصروه ابتداءً من يوم السادس من مارس لمدة ثمانية عشر يوماً، وكان القائدان قد بعثا إلى الضابط الفرنسي يعرضان عليه الاستسلام ولكنه رفض مما دفعهماإالى مهاجمة الحصن ودخوله يوم 24 مارس، فتراجع الضابط ومن معه من جنود وصبائحية، واتجهوا الى حصن بولينياك باليزي[1].

ولما سمع الضابط لا بيير بوصول نجدة فرنسية إلى جانت عادوا لجانت، ولكن قوات الشيخ عبد السلام حاصرتهم من جديد فاستسلموا، فتحرك الجيش الفرنسي بقيادة الضابط مينيي نحو جانت ولم تكن المعركة في صالح الشيخ عبد السلام وأحمد سلطان فانسحبا، وبعد محاولة أحمد سلطان الهجوم على القوات الفرنسية من جديد مني بالفشل وقضي على حركته، غير أن الثورة تواصلت بالهقار، أدت إلى مقتل الراهب "دوفوكو"، الذي كان عينا للجيش الفرنسي بالمنطقة ويتظاهر بأعماله الخيرية للسكان، وقد دامت هذه الثورة إلى غاية 1919 بقيادة "كاوسن الترقي"[2].

وكان الشيخ آمود قد واجه الفرنسيين في عدة معارك في أقصى الجنوب الشرقي، كان أهمها المعركة التي تمكن فيها من القضاء على "فلاترس" ومجموعته ببئر الغرامة سنة 1881م، إضافة الى معركة عام 1909 بجانت ومعركة "عين إيمجن" عام 1916م، ومن أهم العوامل التي ساعدته على ذلك هي الطريقة السنوسية وما قدمته له من دعم مادي ومعنوي[3].

رابعا: تعاون الأهالي مع البعثات الفرنسية:

[1]- عمار عمورة، **موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع**، الجزائر،2002، ص: 160.

[2]- المرجع نفسه، ص: 160.

[3]- بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1833**-1989، دار المعرفة، الجزائر، ج1، ص: 208.

لم تقتصر السياسة الفرنسية في فرض الوجود الفرنسي بالصحراء على القوة العسكرية والبعثات الاستكشافية، بل استثمرت العنصر البشري المحلي حيث عملت جاهدة على استمالة الأعيان والشخصيات الهامة وذات الكلمة المسموعة ورؤساء القبائل، إضافة الى مقدمي الطرق الصوفية وخاصة التيجانية، دون إغفال بث النزاعات بين هذه التشكيلات، لذلك كان لرجال الدين والأعيان والشخصيات دورا هاما في نجاح البعثات الفرنسية، واعتمد الفرنسيون على ثقل الطريقة التيجانية في تماسين عن طريق شيخها عثمان بن الحاج البكري[1] أحد أفراد قبيلة الإيفوغاس، الذي قدم كل الدعم لحملة دوفيرييه عام 1860م، التي درست لمشروع السكك الحديدية العابر إلى السودان، مثلما اعتمدوا على مساعدة قائد الأزجر ايخنوخن[2].

خلال الرحلة الأولى لفلاترس كان رد فعل الأعداء والمنافسين للمشروع غير مجد خاصة مع تعاون بعض الأهالي من عين صالح وغدامس، الذين صرحوا للضابط بأنهم سيكونون وسطاء لفرنسا والقائد الأعلى لجنوب الجزائر ولكن في السنوات اللاحقة غيّر أهالي عين صالح موقفهم، ولعب الشعانبة دورا هاما في تلك الرحلة، حيث أمّنوا خروجها وذلك مقابل مبالغ كبيرة، أما الطوارق فلم تكن لديهم القدرة على مقاومة القوات المتحالفة من الفرنسيين والشعانبة وتوعدوا بالعقاب كل من يعتدي على البعثة[3].

أما في الرحلة الثانية فقد تفاوض الطوارق مع الشعانبة يومين قبل مجيئي الكولونيل من ورقلة فأخذ أولاد مسعود نفس الاتجاه نحو الغرامة[4]، وفي نقوسة[5] استقبل الفريق الثاني لبعثة فلاترس من طرف

---

[1] – عثمان بن الحاج البكري بن محمود بوية بن سي محمد بن سي أحمد السوقي بن محمود، مقدم الطريقة التيجانية في تيماسين في زمنه، كان هو دليل اسماعيل بوضربة في رحلته إلى غات عام 1858 م جمعته علاقات جيدة بالفرنسيين وزار باريس سنة 1862م. أنظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ج 5، ص: 59.

[2]– سميرة دعاشي، المرجع السابق، ص: 133.

[3] –Alfred le Chatelier, op-cite, p:12.

[4]– Ibid, p: 12.

[5]– نقوسة: مدينة صغيرة، تقع على بعد 24 كيلومتر إلى الشمال الشرقي من ورقلة وسط الرمال، يتراوح عدد بيوتها ما بين 150 و200، أهم سكانها أولاد ربيعة يتولى إدارتها شيخ وراثيا، يتكلمون اللهجة البربرية، تربطهم علاقات تجارية مع سوف وتقرت وتونس، ينظر: دوماس، المصدر السابق، ص: 116.

شيخها وهو رجل متقدم في السن، أكرمهم في بيته وقدم لهم ما يحتاجونه من طعام[1]، كما قام أعضاء البعثة بدعوته رفقة أخيه لتناول العشاء معهم في المخيم وأثناء ذلك دارت بينهم محادثات حول الهدف من البعثة وخاصة خط السكة الحديدي[2]، وفي اتجاه ورقلة التحق بهم خليفة ورقلة ونائب الضابط المكلف بالصبائحية اللذان جاءا لمساعدة أعضاء البعثة وارشادها لقطع تلك الطريق الخطيرة، وقد حضّر لهم الخليفة وقوميته احتفال فنتازيا كبير[3].

وهناك العديد من العائلات الحاكمة التي أظهرت الولاء للسلطة الفرنسية وخدمت مشروعها بكل ما تستطيع مثل عائلة مصرلي ودورها في إخضاع الهقار وتيميمون، ودور السعيد بن دريس بمساعدة أخيه في القضاء عل ثورة بوشوشة عام 1873م وعائلة الآغا صحراوي وبن ضيف وعائلة بن شنوف وغيرها[4].

وقد نجح الفرنسيون في تهجين بعض الزوايا وتحويلها عن وظيفتها الأساسية إلى مراكز للدجل والشعوذة والخرافات، إضافة الى تطبيق سياسة فرق تسد بينها، مثل الصراع الذي قام بين العيساوية والحنصالية من جهة، والقادرية والتيجانية من جهة أخرى[5]، وفي المقابل عملت على تقريب الزعامات القبلية والعشائرية ذات الكلمة المسموعة للاستثمار في أوضاع الفقراء والجائعين، وإغراء الزعماء بالألقاب والمراكز الوهمية واستغلال المناسبات والأسواق والتجمعات عن طريق الجوسسة[6]، ولعبت بعض الطرق والعائلات النافذة دورا مهما في مساعدة البعثات التجسسية الاستعمارية، كما في حملة دوفيريي نحو المنيعة، ووظفت فرنسا تلك الطرق لصالحها لضرب الطرق الثائرة مثل السنوسية[7].

---

[1] – Henri brosselard, op-cit, p: 37.

[2]- Ibid, p: 39.

[3]–Ibid, p : 41.

[4]- سميرة دعاشي، المرجع السابق، ص: 137.

[5]- أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص: 418.

[6]- المرجع نفسه، ص: 419.

[7]- سميرة دعاشي، المرجع السابق، ص: 134.

في سنة 1854م لما بلغ سي حمزة ورقلة التقى بالشيخ عثمان برعاية الزاوية المرابطية لأفوغاس حيث سعى إلى تثبيت الأمن والسلم والأخوة بين سكان المنطقة المضطربة، ومن الطبيعي أنه كان متفقاً مع الشيخ إيخنوخن[1].

ولما انتقل سي حمزة إلى مدينة الجزائر جلب معه الشيخ عثمان الذي أكد للماريشال راندون الحاكم العام للجزائر التزامه لفرنسا باسم إيخنوخن وصرح له أن الإنجليز يحاولون الوصول إلى أهم المراكز التجارية ببلاد الطوارق، فقد ذهب القنصل البريطاني بطرابلس إلى غدامس للبحث عن الأسواق الهامة في جنوب الجزائر، وفهم العلاقات التي تتحكم في حركة قوافلها مع المراكز التجارية الإفريقية[2].

وفي إطار جهودها لاكتشاف الصحراء تقربت فرنسا بكل الطرق والوسائل من الشخصيات الجزائرية خاصة النخبة المثقفة، والتي يمكنها مساعدة فرنسا على تحقيق مشروعها مثلما كان الحال مع إسماعيل بوضربة الجزائري المسلم حيث كلفه الماريشال راندون عام 1858م، بتولي مهمة استكشاف الطريق الرابط بين الأغواط وغات وذلك بهدف تمهيد الطريق لفتح منطقة أزجر أمام التجارة الفرنسية، خاصة وأن بوضربة يعد من إطارات الجيش الإفريقي كونه مترجما عسكريا[3]، وسبق له وأن شارك في الحملة الفرنسية على تقرت.

وقد انطلقت الحملة التي شارك فيها بوضربة يوم أول أوت 1858م من نقوسة إلى البيوض ثم إلى آخر نقطة في خط سيرها، الذي وصلته يوم 26 سبتمبر، وقد صاحبته شخصية أخرى هي الشيخ عثمان، وكان رد فعل السكان هو رفض استقبالهم، كونهم تلقوا معلومات من مرزق تتهم الشيخ عثمان بالعمالة للفرنسيين ولكن القائد إيخنوخن أعلمهم أن بوضربة مسلم فتراجعوا عن قرارهم وسمحوا لهم بالدخول[4]، وفي حين نجح بوضربة في ربط علاقات هامة مع إيخنوخن، عمل الحاج عثمان على إقناع

---

[1] – Paul vuillot, **l'exploration du Sahara étude historique et géographique**, Challamel Eediteur, Paris, 1895, P: 48.

[2] – Ibid, P: 49.

[3] - محمد مبارك كديده، المرجع السابق، ص– ص: 835– 843.

[4] – سميرة دعاشي، المرجع السابق، ص: 126.

أحد أهم التجار بغات الحاج أحمد بقبول التعاون مع فرنسا في المجال التجاري والأرباح التي ستتحصل عليها منطقة غات من وراء ذلك، وكانت أهم ملاحظة توصل إليها بوضربة أن القلب النابض للنشاط التجاري هي منطقة غات وليس غدامس[1].

تمكنت هذه البعثة فيما بعد من إحراز نتائج عظيمة بالنسبة لفرنسا حيث تم عقد اتفاقية غدامس مع الحاج ايخنوخن في 26 نوفمبر عام 1862م، افتكت بموجبها فرنسا حق فتح أسواق بلاد الطوارق أمام المنتوجات والقوافل الفرنسية ومساعدة أعضاء بعثاتها والتعاون معهم ومدهم بما يحتاجونه من معلومات[2].

وتشكلت البعثة التي توجهت لأجل ذلك كما سبق ذكره، من ميرشار ودي بولينياك ودي فاتون وهوفمان وإسماعيل بوضربة كمترجم عسكري، وعقدت البعثة اجتماعا مع الحاج جابور زعيم قبيلة آمانغازاتن والشيخ عثمان مرابط تماسين واخ الشيخ ايخنوخن عمار الحاج وقد خرجت المعاهدة بعدة بنود منها:

- حرية ممارسة العمل التجاري وادخال بضائع السودان مقالب دفع المكوس.
- على الطوارق حماية المبعوثين والتجار الفرنسيين والأهالي المتجهين الى بلاد السودان مقابل دفع الرسوم المتفق عليها.
- ومقابل ذلك تقوم فرنسا بالاهتمام بحفر الآبار وتحسين وضعية الطرق وهوما سيعود بالفائدة على سكان الطوارق.
- يتولى الشيخ إخنوخن مسؤولية حفظ أمن القوافل والبعثات وتسهيل الحركة التجارية مقابل رسوم تدفع له.

[1]- المرجع نفسه، ص: 128.

[2]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 323.

- يلتزم الشيخ إيخنوخن بإنهاء الخلافات بين التجار والمتعاملين بالطرق السلمية إضافة الى تحسين العلاقات مع قبيلة كلوي وبلاد الأزجر لتهيئة الظروف للانتعاش التجاري هناك والذي يدخل في إطار المصلحة العامة لفرنسا وتثبيت وجودها بالمنطقة[1].
- ورغم ما حققه بوضربة من نتائج مبهرة للمشروع الفرنسي، ولكن السلطات الفرنسية شكت في ذلك وعاود الحاكم العام إرسال بعثة أخرى لمعرفة رد فعل السكان المحليين من رحالة فرنسي، وهل ستأتي بنفس النتائج لكون بوضربة مسلماً[2].

ونفس الأسلوب اتبعته البعثات في السودان الغربي لتحقيق مشاريعها، حيث كانت تركز على ربط علاقات قوية بالشخصيات الهامة والتي لها نفوذ، وبرجال الدين والمرابطين خاصة، ففي البعثة المتوجهة إلى بلاد ترارزة بالسنغال انطلق أعضائها نحو مخيم الشيخ "ساديبو"، المرابط الصحراوي الذي يحظى باحترام الجميع في واد "نون" ومناطق السودان الغربي، وهو شخص متفتح ومتأثر بفرنسا، ولذلك سعى رئيس البعثة للاتصال به للحصول على المستجدات الحاصلة بالصحراء وبسبب الوضع المضطرب بالمنطقة بعث أخيه المرابط الشيخ "بابا" الذي بذل جهداً كبيراً للالتحاق بالبعثة في"ابويزير" وطلب من قائد البعثة أن يضع ثقته فيه حتى يستطيع الوصول إلى أولاد "دوليم" في آمان، ولذلك فضلت البعثة حماية المرابطين لها، وقد حضر المرابط ومعه عدد من الطلبة، وشخص كان يعمل في البحرية منذ 1885م، واندمج مع الموريتانيين، يعرف باسم محمد عبدلاي، اسمه الحقيقي مارث، وتمنى القائد أن يقدم خدماته لفرنسا في هذه المنطقة الصعبة[3].

[1]- إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 42.

[2]- Paul Vuillot, op-ci, P: 59.

[3] Leon Fabert,op-cit, P: 382.

ويعتبر الشيخ" ساديبو"، بسبب الخدمات التي قدمها لهاته البعثة، أهم مؤثر بالصحراء الغربية، وتمنى قائد الرحلة أن تقدر السلطات الفرنسية ذلك وتكافئه بدفع تكاليف رحلته الى الحج كما فعلت مع "بولمقداد " سنة 1860[1].

خامسا: المشاريع الكبرى التي جلبت اهتمام الفرنسيين بالصحراء الجزائرية

- **مشروع خطوط السكة الحديدية:**

إن مشروع النقل بالسكك الحديدية هو مشروع استراتيجي بالنسبة لفرنسا ولم يكن يتحقق ذلك إلا بمعرفة البلدان التي توسعت فيها القوات الفرنسية معرفة دقيقة، وسيؤدي إلى تحويل بحيرة تشاد إلى بحيرة فرنسية، وحتى الإنجليز نافسوا فرنسا في هذا المجال، حيث كانت غايتهم إنجاز خط حديدي لنفس الهدف الذي تسعى فرنسا لتحقيقه من أجل ربط النيجر بالسينغال، وسيأتي اليوم الذي لا تملك فيه فرنسا ذلك الخط الحديدي فحسب، بل سيكون لديها شبكة خطوط صحراوية تربط بين ممتلكاتها.

وخلال أربع سنوات استطاع الجيش الفرنسي فرض الهدوء والأمن حول المناطق التي سيمر عبرها الخط الصحراوي، وعندما وضعت أول السكك تحقق الحلم بالوصول الى النيجر على امتداد الألف والثلاثمائة كيلومتر[2].

وكان أول من اهتم بفكرة النقل الحديدي هو المهندس "ادولف دوبونشيل" عام 1858م، بدافع منافسة بريطانيا تجارياً، فنصح حكومة بلاده بضرورة ربط مستعمراتها بمد خطوط السكك الحديدية، وقد ذهب بعيدا حينما اقترح مد خط حديدي يوصل الجزائر بأقصى جنوب القارة في منطقة ترانسلفال، وتطلب منه ذلك ثلاثة عقود من الدراسة والبحث، وقد افتك موافقة البرلمان على إقامة ثلاثة خطوط سكك حديدية منذ عام 1880 بينما تضمن مشروع "بويان" مد ثلاثة خطوط، أولها من تيارت إلى المابة، وثانيها من سعيدة إلى راس الماء ومشرية، وثالثها من مشرية إلى مقرار، وقد أضاف "دوماق" مشروع خطوط أخرى تمتد من سكيكدة إلى قسنطينة وعين صالح، وآخر يمتد من مدينة الأغواط ثم

[1]– Ibid, P: 385.

[2]– Henri Bissuel, Le Sahara Français, Adolphe Jourdan libraire Editeur, Alger, 1891, P: 137.

عين صالح، وآخر من مدينة الجزائر إلى الأغواط ثم عين صالح، وخط يمتد من مستغانم إلى تيارت وعين صالح، والأخير من ورقلة إلى بحيرة تشاد[1]، وقد اهتم مشروع "دوريان" بإقامة خط يمتد من وهران إلى توات وسبدو والعريشة وعين بن خليل، وأكد الضابط "باريو" على أهمية السكك الحديدية في المجال العسكري، خاصة نحو السنغال والسودان لتسهيل عملية نقل الجنود وقمع الثورات وتمرد السكان اقترح شوازي مد خط حديدي يربط الجزائر بالنيجر[2].

ويمكن حصر أهمية هذا المشروع فيما يلي:

- حل مشكلة نقل القوات العسكرية في ظروف ميسرة نحو الجنوب الجزائري.
- مواجهة حركات التمرد التي كانت تعرقل تقدم البعثات والتوغل الفرنسي.
- ربط المستعمرات الفرنسية ببعضها محليا وإقليميا وقاريا ودوليا.
- إنعاش الاقتصاد الفرنسي عن طريق استغلال ثروات الصحراء المتنوعة المعدنية والزراعية.
- التحكم في نشاط القوافل التجارية والسيطرة على حركتها للاستحواذ على أرباحها[3].

واقتنعت الحكومة الفرنسية بالمشروع العملاق حيث شكلت له لجنة خاصة سميت بطريق النقل الصحراوي (chemin de fer transsaharien)، وهو الذي استهلك عدد هائل من البعثات والقوافل والمستكشفين، حيث دافع فلاترس عن المشروع رغم المعارضة الشديدة من طرف أعدائه لأن الرحلات والأبحاث والدراسات اثبتت أن مستقبل فرنسا موجود بإفريقيا[4].

وبعد صراع كبير بين المناصرين لهذا المشروع والمعارضين له داخل الدوائر السياسية، قرر وزير الأشغال العمومية تكليف لجنة خاصة لدراسته مما عزز موقف المساندين له، ومن بين النقاط التي كانت محل نزاع هي نقطة بدايته، في حين رأى البعض أنه من الأفضل أن يبدأ من وهران ثم يأخذ اتجاهه نحو

---

[1] يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 334.

[2]- المرجع نفسه، ص: 335.

[3]- اعميراوي أحميده، المرجع السابق، ص: 78.

[4]-Victor largeau , op-cit,p: 80.

أقصى الجنوب الغربي مارا بواحات قورارة وتوات، رأى البعض أن أحسن نقطة انطلاق هي الأغواط باتجاه عين صالح، بينما فريق ثالث رأى أنه من الأفضل أن ينطلق من بسكرة وتقرت، ونتيجة ذلك شكلت لجان علمية للبحث في أحسن الطرق التي تسهل إنجازه، حيث كلف الضابط فلاترس بدراسة مسار الخط من ورقلة فقام بمجهودات كبيرة لجمع المعلومات بطول 1200 كلم، غير أنه قتل في الرحلة الثانية في اتجاه الهقار عام 1881م، مما شكل صدمة للسلطات الفرنسية والمستوطنين وهوما أوجب على فرنسا التريث وتأجيله لغاية بسط نفوذها الكامل على المنطقة[1].

ونبه كثير من المستكشفين والمهندسين حكومة بلادهم إلى ضرورة انجاز هذه الخطوط في خطوة استباقية لضم السودان والسنغال والكونغو وتشاد، حتى لا تسقط في أيدي الدول المنافسة وخاصة الانجليز، وتواصل اهتمام الفرنسيين بهذه المشاريع حتى القرن العشرين كالضابط نو وبيرفينيكيير والمهندس سولييز وكاميل ساباتي وبيروني وغيرهم، وكان كل اهتمامهم يدور حول اعداد الدراسات التي تحدد التمويل اللازم لتلك المشاريع وما ستعود به على فرنسا من مكاسب في جميع المجالات خاصة اقتصاديا وعسكريا، والتي تضمن الوجود الفرنسي بالمنطقة وكانت ثمرتها انجاز ثلاثة مشاريع انطلاقا من الخط الرئيسي من تونس الى الدار البيضاء وحتى المحيط الأطلسي وهي:

- خط قسنطينة، ورقل، مرورا ببسكرة إلى تقرت.
- خط البليدة، المدية، وصولا إلى الجلفة.
- خط المحمدية، سعيدة، بشار إلى بني عباس[2].

وما بين عين صالح وتمبوكتو كان استحواذ الجيش الفرنسي على المنطقة، وضمان ولاء الأهالي الجزائريين كافيا لحماية وانجاز كل أشغال النقل الصحراوي (le transsaharien) وهو ما استوجب ظهور تيارا كبيرا للتجارة ما بين الجزائر والسودان، والذي ستكون له فوائد على كل الوسطاء والتجار

[1] جمال قنان، المرجع السابق، ص: 144.

[2] يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 337.

العرب، كما أن استعمال السود في المناطق الصحراوية سمح بالتعمير بسرعة وبناء مراكز جديدة آهلة بالسكان[1].

وكان المشروع جاهز نظريا رغم تحجج المعارضين له بالجفاف ومشكلة الماء وكثرة الكثبان وتحركها وشساعة المساحة وقسوة المناخ، وأخيرا استغلال معارضة الطوارق الذين كان عدد محاربيهم الكبير والمعيق للسير نحو الجنوب لكن الخبث الاستعماري، وقوة آلته العسكرية إضافة إلى المصالح التي قدموها في الصحراء أغرت الطوارق كما العرب في جنوب الجزائر[2].

وقد كان طموح فرنسا يتعدى ذلك إلى التوسع نحو الجنوب وربط مستعمراتها بواسطة هذه الوسيلة، ولكن المشروع فشل بسبب التكاليف الباهظة وطبيعة المناخ والسطح ودخول الطيران قيد الخدمة وانشغال فرنسا بالحرب العالمية الأولى[3].

- **مشروع البحر الداخلي:**

يعتبر من أهم المشاريع المائية التي جلبت انتباه الفرنسيين وخاصة الضابط "فرانسوا رودير" والدبلوماسي ديلاسبس[4] (Ferdinand de Lesseps)، واهتم المشروع بالمنطقة الممتدة من خليج قابس إلى جبال أولاد نايل وحتى منطقة ميزاب في الجهة الغربية من الشمال، إلى جبال الأوراس وتبسة شمالا إلى الهقار جنوبا، وتتميز هذه المناطق بغناها بالشطوط والأحواض، ويدخل كل ذلك في نطاق العرق الشرقي الكبير، منها شط الجريد والفجاج بتونس وشط ملغيغ وعسلوج وشط مروان وما يتصل بها من أحواض وادي ريغ وإغرغر، ومن جهة الشمال الغربي تمتد شطوط أخرى داخل الهضاب العليا منها شط الحضنة والزاغر الشرقي والغربي، وقد تحدث عن هذا المحيط المائي الكبير الرحالة اليوناني هيرودوت والذي كان يعرف ببحيرة "تريتون"، التي كانت تتصل بالبحر المتوسط عبر قناة الشلف

---

[1] -Henri brosselard, op-ci, p: 286.

[2]- Henri brosselard, op-ci, p: 279.

[3]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 337.

[4] – فرديناد ديلاسبس (1805-1894م)، دبلوماسي ومقاول فرنسي، اشتهر بأنه صاحب مشروع قناة السويس وبنما. https://fr.wikipedia.org/wiki/Ferdinand_de_Lesseps استرجع بتاريخ: 2025/04/09.

وبالمحيط الأطلنطي عبر قناة تازة وبخليج قابس عبر شط فجاج، ومع مرور الوقت جفت مساحات كبيرة منه أدت الى ظهور الأحواض والشطوط والزواغر الداخلية، ويتميز شط ملغيغ بإنخفاضه عن مستوى سطح البحر بخمسة وعشرين مترا وتتميز المناطق المحيطة بهذه الشطوط بظروف مناخية صعبة[1].

وقد استوحى الفرنسيون فكرة هذا المشروع من ما ذكره أحد المهندسين الألمان ،الذي تخيل إمكانية استعمال مياه نهر وجرها لسقي الصحراء الكبرى، وقد روجت إحدى الدوريات الفرنسية للفكرة خاصة من حيث أنها تؤدي إلى توليد الطاقة الكهرومائية واستصلاح الأراضي، وهو ما يعد ضربا من الخيال مقارنة بالتكلفة المالية الضخمة التي يتطلبها، ويرجع لسنة 1877م حينما تحدث الكابتن رودير عن تكوين بحر صحراوي ينقل مياه البحر المتوسط نحو الشطوط، ثم اقترحه كرفران ولإزالة الأتربة والصخور المقدرة خمسمائة مليون كيلومتر مكعب يجب توفير مائة مليار فرنك[2].

وكان من أهم الساعين لإنجاز مشروع البحر الداخلي "رودير"، الذي انجز له دراسة عام 1873م، ودعمته الجمعية الوطنية الفرنسية لتحضير دراسة علمية لتلك الشطوط والأحواض انطلاقا من بسكرة وشط ملغيغ تشمل جميع النواحي، الاقتصادية والمناخية والفلكية والجغرافية والبشرية، واحداثياته المحتملة ولذلك انجز له خرائط توضح ربط شطوط الجريد، الغرسة، فجاج، التي تتصل بشط الجريد شرقا عن طريق حفر قناة واصلة بينهما ثم يتم ربطها بشط ملغيغ وواد ريغ غربا ثم واد سوف وينتهي في منخفض ايغرغر[3].

وأوضح "أوكتاف ساشون" أن المشروع يمكنه أن يغرق الصحراء، عند إنجازه متأثرا في ذلك بدونالد ماكينزي الإنجليزي، الذي افترض أن هذا البحر الداخلي إذا انجز سيؤدي إلى جلب مياه المحيط الأطلسي واحداث تغيرات جذرية بالمنطقة، وهو الحلم الذي ظل يناضل من أجله رودير ودوليسبس وحاولا إقناع الفرنسيين بالامتيازات التي سيحققها المشروع في جميع المجالات.

[1]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص:339

[2]- ريمون فيرون، المرجع السابق، ص: 325.

[3]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 340.

فسياسيا وعسكريا: يمكن نقل القوات الفرنسية وجيوشها بشكل آمن وميسر عبر مستعمراتها خاصة تونس والجزائر، والحد من الانتفاضات والحركات الرافضة للوجود الفرنسي وكل ذلك يخدم مشاريع فرنسا الاستعمارية.

واقتصاديا: إعادة التوازن المناخي برفع نسبة الرطوبة وجلب الأمطار والتقليل من تأثير المناخ الصحراوي على المناطق الداخلية، وتوسيع المساحات الزراعية في الشمال والهضاب وتوفير المزيد من المياه الجوفية وقد تشجع رودير بمشروع قناة السويس، لكن المعارضون وجدوا أن تكاليف البحر الداخلي مضاعفة بشكل كبير مقارنة بقناة السويس، كما أكد بوميل من الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم أنه لا توجد اية صلة بين البحر المتوسط وهذه الشطوط في القديم، ومن أهم الشخصيات غير الفرنسية التي دعمت المشروع الأمير عبد القادر الجزائري، الذي دعا سكان المناطق المجاورة لشط فجاج وغيرها من الشطوط الأخرى لتأييد المشروع والوقوف موقفا إيجابيا منه ووضح لهم الفوائد والخيرات التي ستعم على المنطقة ككل في حالة إنجازه وفي نفس الوقت شجع دولاسبس على تنفيذه[1].

- **اهتمامات البعثات الاستكشافية:**

كانت اهتمامات الرحلات والبعثات متنوعة تشمل المجال التجاري والمبادلات والأسواق والسلع، ودراسة عادات وتقاليد المناطق التي تمر بها إضافة الى اللغة والأعراق غير أن الدراسات العلمية أخذت النصيب الأكبر فيما تعلق بالمناخ والجبال والتكوين الجيولوجي، وقد فرضت طبيعة الصحراء على الرحالة التركيز على دراسة الجانب الهيدرولوجي وتتبع منابع الأودية والأنهار وأماكن تواجد الأبار وطرق البحث عن الماء الذي يعد في تلك البيئة مصدر الحياة وبدونه يهلك المسافرون وتتوقف حركة التجارة والقوافل.

كان الفرنسيون يدركون أهمية الماء في الصحراء وأنه أهم مشكلة تواجهها القوافل أثناء تنقلها، وكل الرحالة الفرنسيون حاولوا إقناع السكان المحليين بأن فرنسا تريد تقديم يد المساعدة للأهالي في هذا

[1]- المرجع نفسه، ص: 342.

المجال وتسعي لحفر المزيد من الآبار، خاصة عبر المسالك الأكثر حركة، ويتماشى ذلك مع رغبة فرنسا في التوسع نحو المناطق المجاورة للجزائر وربطها بمستعمراتها[1].

فكان الرحالة مقتنعون بأهمية الموضوع ولذلك كانوا يرون أن وجودهم لا يقتصر على المجال العسكري بل عليهم إيجاد وسائل عيش جديدة لشعوب المنطقة التي تعاني البؤس، وجعل الأرض تعطي أكثر، فقد ذكر "بروسلر" أنهم كانوا في كل مرحلة يحفرون آباراً جديدة، وفي بضعة سنوات ستتحول واحة ورقلة إلى أغنى وأوسع الواحات في الصحراء، وأنهم يركزون جهودهم حول واد إغرغر وواد مية وإلى مركز الهقار، فكلما تقدمت أبحاثهم سيجدون محيطات أخرى هامة وستكون أمامهم مهمة حفر الآبار وإقامة السدود وخزانات الماء التي تملأ من الثلوج الذائبة لإحياء هذه البلاد، فالماء في الصحراء هو العامل الهام وهو سبب الثروة والاستقرار رغم صعوبة توفيره وفقدانه بسرعة[2].

لقد أكدت بعثة فلاترس خلال رحلتها إلى الجنوب أن الماء في الصحراء يختفي بسرعة إلى باطن الأرض وهو ما يتطلب البحث عنه، وهي مهمة ستكون سهلة خاصة وأن فرنسا تملك الوسائل القوية، فالكثير من المناطق تملك طبقات واسعة من المياه الجوفية وهي غير مستغلة وبفضلها سيسهل عليهم حل المشكل مما يساعدهم على تخصيب التربة وزيادة النشاط الزراعي[3].

وفي فصل الشتاء تتحول الأودية الصحراوية إلى سيول كبيرة وصيفا تجف وتصبح على شكل شبكة ماعدا واد مايا وواد جدي، اللذان يوجدان بين الجبال، فهذان الواديان يسيلان من الشمال إلى الجنوب حيث تضيع مياههما في الكثبان الرملية[4]، وفي كل الاتجاهات هناك آباراً يمكن استعمالها كمحطات يسترشد بها المسافرون كما تحمل القرب على ظهور الجمال التي تستطيع قطع مسافة مائة وعشرين كيلومتر في اليوم الواحد وتتحمل العطش لمدة ثلاثة أيام[5].

---

[1]- سميرة دعاشي، المرجع السابق، ص: 92.

[2]- Henri brosselard, op-ci, p: 283.

[3] -Ibid, p: 279.

[4] -دوماس، المصدر السابق، ص: 24.

[5]- المرجع نفسه، ص: 24.

وتعرف الفرنسيون من خلال اهتمامهم بعنصر الماء على أهم الأودية الصحراوية فمنها القادمة من الشمال مثل الواد الأبيض وكذلك واد العرب، اللذان يصبان مياههما في شط ملغيغ الواسع، والذي يتميز بمحيط رملي تنمو فيه الحشائش الصحراوية، وتؤدي فيضانات الواديناإالى غمر مساحات كبيرة منه في فصل الشتاء، وفي الجنوب الغربي ينحدر واد زرقون وواد الناموس والخبيز من الأطلس الصحراوي وأكبرها هو واد الساورة، حيث يعد واد زوزفانة وواد غير من أهم روافده، ويصب عند سبخة المخرقن بعين صالح، ويعتبر مساره طريقا للحياة، حيث تنتشر على ضفافه الواحات وتكثر المراكز العمرانية والنشاط الفلاحي، أما في أقصى الجنوب فتنحدر من جبال الهقار المجاري والسيول أهمها واد تامنغست وواد اتفاست الذي يشكل حلقة وصل مع النيجر وعلى خلاف الأودية الأخرى فالفيضانات بهذه الجهة تحدث صيفا[1].

وبسبب قساوة المناخ وندرة الماء في الصحراء ابتكر السكان العديد من الطرق لاستعمال الماء والمحافظة عليه وهو يعني البقاء والمقاومة، وقد بهرت تلك الطرق وأنظمة السقي الرحالة وكتبوا عنها وسجلوها في ملاحظاتهم ومن أمثلة ذلك:

نظام الفقارات في واحات توات بالجهة الغربية حيث يعتمد على توزيع الماء على الفلاحين بشكل متساوٍ عبر مجموعة من السواقي، تأخذ اتجاهات البساتين فيتم تجزئة الماء إلى حصص حسب عدد الأيام أو حصص كثيرة تغطي اليوم الواحد المتفق على بيعها، أما في واحة فجيج يطلق السكان على الفقارات اسم الخطاطير أساسها استعمال إناء من النحاس نصف كروي مثقوب من الأسفل يوضع في خزان ليملاه الماء، واذا إمتلا ونزل فذلك إشارة على أن صاحب الحقل استوفى وحدة زمنية للسقي، ويطلق عليها اسم الخروبة وهي بدورها تنقسم الى أجزاء[2]، وفي جهة بسكرة توزع المياه على الواحات بقنوات يختلف حجمها حسب نظام يسمى اللكزة ويقاس بحجم اليد من غير الإبهام ونظام آخر يسمى

[1]- عبد القادر حليمي، **جغرافية الجزائر، طبيعية، بشرية، اقتصادية**، ط 2، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1967، ص: 62.

[2]- قادة دين، "أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر التاريخية"، مجلة قضايا تاريخية، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، العدد 07، (2017)، ص: 76.

اللكزة أو السبوة مقدارها حجم الإصبع وتعادل ربع اللكزة وتتحكم فيها المدة الزمنية التي تعرف بالدور أو النوبة، والدور يقدر بأربعة وعشرين ساعة وفي فلياش النوبة تعادل ست ساعات ويتم قياس ومعرفة الوقت بآلة "المشكودة"[1].

وأدت الحملات الاستكشافية إلى مواجهة عسكرية بين الجيش الفرنسي والأهالي والسكان المحليين ورجال الدين والمرابطين الرافضين للتوسع الفرنسي فكلف ذلك الطرفين خسائر بشرية هائلة وخاصة الطرف الجزائري الضعيف عسكريا، ومن جهة أخرى أدت الى إجراء مسح للصحراء في المجال الهيدروليكي والجيولوجي والنباتي والاقتصادي واللغوي والاجتماعي والفضائي والمناخي، فأظهر ذلك مدى التنوع الذي تتمتع به الصحراء الجزائرية ورغم قساوة ظروفها إلا أن تلك الرحلات غيرت النظرة النمطية عنها وفتّحت أعين الفرنسيين على المستقبل الهام الذي ستلعبه المنطقة في كافة المجلات ومن أجل ذلك، دفعت فرنسا الثمن غاليا سواء في المجال البشري او المادي، وكل ذلك خدمة لمشروعها الاحتلالي الاستيطاني باختلاف نوع بعثاتها من علمية وعسكرية ودينية خيرية.

[1] – المرجع نفسه، ص: 77.

الفصل الثاني:

رحلات شارل دو فوكو 1901–1916م

أولاً: التعريف بشارل دو فوكو

ثانياً: رحلاته

ثالثاً: رحلاته في الصحراء الجزائرية

رابعاً: مشروع دو فوكو بالجنوب الجزائري

من أجل تنفيذ المشروع الفرنسي في الصحراء تطلب منها ذلك تجنيد كل طاقاتها المادية والعسكرية والبشرية ومن ابرز الطاقات البشرية التي تجندت لإنجاح المشروع الفرنسي الراهب شارل دو فوكو الذي تخلى عن مكانته العسكري التي فضلها في بداية مشواره الدراسي على أي تخصص واخر واخضع نفسه لتكوين ديني مسيحي اهله لكي يقود حركة تنصيرية استهدفت الصحراء الجزائرية انطلاقا من الجهة الغربية فانطلق في مخططه من مدينة بني عباس القريبة من الحدود المغربية ثم في اطار تكامل المشاريع الاستعمارية و بإيحاء من صديق الدراسة الجنرال لابرين انتقل الي الهقار حيث واصل مهمته من تامنغست التي عاش بها الى غاية مقتله

أولًا: التعريف بشارل دو فوكو

ولد شارل أوجين دو فوكو (Charles Eugene de Foucauld) في الخامس عسر من شهر سبتمبر عام 1858م في مدينة ستراسبورغ، وكان والده فرنسوا إدوارد دو فوكو (François-Edouard De Foucauld) نائباً مفتشاً بقطاع الغابات، من عائلة ميسورة اشتهرت بالفروسية وكانت دائما في خدمة الكنيسة والدولة الفرنسية كما فعل أسلافها دائما، وهو الشيء الذي تأثر به شارل د وفوكو[1].

كان لشارل دو فوكو أخت واحدة هي ماري، كانت والدته السيدة دوفوكو حريصة على تلقينه مبادئ المسيحية وتصحبه دائما معها في زياراتها المتعددة للكنيسة، وتوفيت أمه في 13 من مارس عام 1864م وهي في سن الرابعة والثلاثين، وفي شهر أوت من نفس السنة توفي والده، تربى بعد ذلك عند جده لأمه السيد شارل غابريال دو مورلي (Charles-Gabriel De Morlet)، وهو عقيد متقاعد من الجيش[2].

[1]- René Bazin-Charles De Foucauld, **explorateur du Maroc**, **Ermite au Sahara**, Plon Nourrit et Cie Editeur, Paris, 192, p: 01.

[2]- Ibid, p: 04.

ولما اندلعت الحرب الفرنسية البروسية بمنطقة الألزاس واللورين اضطر الجد إلى أخذ حفيديه واللجوء إلى مدينة بارن، وفي عام 1872م لم يستطيع الجد العودة إلى ستراسبوع فاتجه الى نانسي وفيها التحق شارل دو فوكو بالثانوية الموجودة بها وفي هذه المرحلة فقد الانضباط والالتزام الروحي[1].

وبعد تحصله على شهادة البكالوريا أراد جده إدخاله للثانوية المتعددة التقنيات، ولكن شارل دو فوكو تعود على الحياة السهلة فرفض اقتراح جده وقرر الالتحاق بالكلية العسكرية بسان سير (Saint Cyr)، لأن المسابقة فيها لا تتطلب جهدا كبيرا فاجتاز امتحان الدخول إليها سنة 1876م[2].

ومن مدرسة سان سير انتقل سنة 1878م إلى مدرسة الفروسية بمنطقة سومير (Saumur)، وفيها تعرف على صديقه أنطوان دو فلمبروزا (Antoine de vallombrosa) وبسبب عدم الانضباط وإثارة المشاكل وإزعاج الآخرين كاد أن يطرد، ولكن لحسن حظه تم توجيه فرسان الحامية الرابعة التي كان ضمن عناصرها برتبة ملازم، عام 1880م إلى الجزائر، وقد تحولت هذه الحامية إلى فرقة القناصة الرابعة لإفريقيا، واتجهت إلى عنابة وسطيف.[3]

واستقر بالجزائر ضمن فرق الجيش الفرنسي، وظل سلوكه غير منضبط ميزه التعدي على الآخرين، حيث تسبب في مقتل أحد زملائه، وبعد جهود كبيرة ووساطة من أفراد عائلته لدى الجهات المختصة، تم تخليصه من حكم الإعدام، لكن طرد من الجيش وأبعد إلى إيفيان (Evian) سنة 1881م[4].

وفي نفس السنة ولما سمع باندلاع ثورة بوعمامة التي هددت الوجود الفرنسي بالجنوب الغربي الجزائري، راسل مسؤوليه السابقين وكاتب وزارة الحرب من أجل السماح له بالمغادرة باتجاه الجنوب الوهراني، وقد ربطت الوزارة قبول طلبه بالتزامه بما فرضته عليه من شروط انضباط سابقة، فوافق على شروطها وعاد ثانية إلى الجزائر، وفي ظل هذه المرحلة بدأ دو فوكو يستعيد المشاعر الدينية وروح الكنيسة

[1]- Ibid, p: 05

[2] – René Bazin, op-cit, p: 07.

[3] –Ibid, P: 12.

[4] –إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 210.

وتبنى قيم التضحية من أجل فرنسا[1]، فتقدم بطلب عطلة لمسؤوليه من أجل القيام برحلة نحو الجنوب، ولكن طلبه قوبل بالرفض، فدفعه ذلك إلى تقديم استقالته، وبدأ يحضر لرحلته الكبرى إلى المغرب وكان عمره آنذاك أربعة وعشرين سنة،و كرس كل وقته في هذه الفترة لتعلم اللغة العربية في المكتبات وربط علاقات مع الشخصيات التي يمكنه الاستفادة منها ومنهم أوسكار مكارتي[2] (Oscar Mac Carthy) الذي كان يحلم بمشروع اجتياز الصحراء والوصول إلي تمبوكتو وهو الحلم الذي لم يستطيع تحقيقه منذ عشرين سنة[3].

كان أوسكار مكارتي محافظ مكتبة الجزائر بقصر مصطفى باشا، أين كان يقضي الملازم الشاب دو فوكو ساعات طويلة معه يتفحص الخرائط القديمة والتقارير المنجزة من طرف الجغرافيين الأوائل، وأهم سؤال كان دو فوكو يطرحه على نفسه كيف سيظهر أثناء رحلته للمغرب بمظهر يخفي هويته المسيحية[4].

واهتدى دوفوكو لفكرة، حيث زار في شهر جوان 1881م، الربيّ اليهودي "مردوشي"، القاطن بحارة اليهود بمدينة الجزائر، وترك عنده ملابسه الأوروبية وارتدى الملابس الإسرائيلية، ومن هناك رافقه مردوشي إلى محطة القطار المتجه إلى وهران، الذي سينطلق صباحا، وبدأ يتصرف وكأنه يهودي حتى في طريقة نطقه للغة الفرنسية، وكما أورد: "أصبح اسمي الربيّ جوزيف أليمان ولدت في موسكو حيث طردت، وأثناء فراري اتجهت إلى القدس وبعد مدة التحقت بشمال إفريقيا وأنا الآن أسافر بهدف المغامرة"[5].

---

[1] – René Bazin, op-cit, p: 13.

[2] – أوسكار ماكارثي (1815-1894م)، جغرافي ومستكشف فرنسي من أصل إيرلندي استقر بالجزائر واهتم باختراق الصحراء وكان مستشارا لكثير من الرحالة والمستكشفين. https://fr.wikipedia.org/wiki/Oscar_Mac_Carthy استرجع بتاريخ: 2025/04/10.

[3]– René Bazin, op-cit, p: 15.

[4] –Ibid, p: 17.

[5]– Ibid, P: 21.

ووتورد المصادر أنه بسبب رحلاته بين الجزائر والمغرب، تأثر كثيرا بالإسلام وبالنداءات المتكررة خمس مرات كل يوم حيث يتوجه الرجال ناحية الشرق لتلبية نداء الله، وبكثرة ترديد المسلمين لاسم الله في أحاديثهم الشفوية أو في كتاباتهم، كل هذه الأمور تجعله يتساءل عن فائدة وجوده بدون دين، بل حتى اليهود كانوا يصلون لنفس الإله مثل العرب، ولما عاد الى الجزائر صرح لبعض أصدقائه أنه كان لديه تعلق بالإسلام وكاد يعلن إسلامه، ولكن عند أول امتحان تراجع وتأكد أن ديانة محمد ليست مناسبة له[1].

وشهدت حياة شارل دوفوكو تحولا جذريا وانقلابا كبيرا في عام 1886م بسبب اتصاله بالأب هيفولين[2] (Henri Huvelin)، في كنيسة سانت أوغستين بباريس، حيث اقتنع باعتناق الكهنوت المسيحي والتحول لخدمة الكنيسة وتسخير حياته لله، كما اعتقد[3].

ثانياً: رحلاته

- **رحلته الى المغرب:**

سافر دو فوكو مع الجمعية الفرنسية للجغرافية في رحلة استكشافية ذات طابع علمي إلى المغرب، ولكن أساسها كان الاستعلام عن أوضاع المغرب الأقصى، استعدادا لاحتلاله[4]، ولذلك كان شديد الاهتمام بدراسة أوضاعه، وانطلقت رحلته في شهر جوان 1883م، متنكرا في هيئة يهودي ومعه مرافقه اليهودي الجزائري مردوشين أو ميردوخي، الذي اقترحه عليه صديقه ماكرتي، انطلقا من العاصمة إلى

[1] -Ibid, P: 85.

[2] – هنري هيفولين (1838-1910م)، كاهن ورجل دين مسيحي من باريس، تسبب في اعتناق دو فوكو الكهنوت المسيحي. https://fr.aleteia.org/2022/05/13/labbe-huvelin-le-pretre-qui-a-confesse-charles-de-foucauld، استرجع بتاريخ: 2025/04/10.

[3]- Jean François Six, **Charles de foucauld**, **Lettres et Carnets**, Editions du Seuil, Paris,1966, P: 15.

[4] -إبراهيم مياسي، **مقاربات**، المرجع السابق، ص: 210.

وهران ومنها إلى المغرب، وأثناء ذلك كان يسجل كل ما يصادفه من ملاحظات وخاصة بالأسواق التي كان يتجول بها راجلا أو راكبا على حماره[1].

دخل مدينة طنجة في شهر جوان 1883م ومنها اتجه إلى الداخل بداية بالمناطق الشمالية، فاهتم بدراسة الجبال والأودية والسهول والمدن والقرى والمسالك والشعاب، وابتعد عن دراسة المناطق المعروفة سابقا لدى الفرنسيين ، كتطوان وفاس وركز على المناطق المجهولة وغير المعروفة لدى الأوروبيين والفرنسيين، فكان يحمل معه كراس وقلم رصاص يسجل ملاحظاته بشكل دقيق وقد جمع كل ذلك في كتاب من جزأين سماه التعرف على المغرب 1883-1884(Reconnaissance au Maroc)، وقد رافقه طيلة رحلته اليهودي مردوخي أبي سرور (Mardochee Aby Serour)، المولود بالمغرب والمقيم بالجزائر، مما مكنه من الاطلاع على أحوال شمال إفريقيا والمغرب جيدا[2].

وغادر بسرعة إلى تطوان التي تفصلها عن طنجة مسيرة يوم واحد، مستفيدا من كون الطريق آمنة وتشهد حركة يومية للقوافل، وأثناء إقامته بطنجة أصدر الوزير الفرنسي المقيم فيها بأمر من الحاكم العام "تيرمان" أوامره لوكلائه بتسهيل مهمة دو فوكو بالمغرب، فغادر المدينة يوم الواحد والعشرين جوان ومعه ستة رجال أو سبعة جلهم يهود إضافة إلى عشرة دواب، فاخترقت القافلة في البداية بعض الأودية والجبال ووصلوا قبل المساء إلى واد مراح، وتوقفوا قرب بعض الأكواخ، حيث ينتشر قطاع الطرق مع حلول المساء وترى سكان الأكواخ البائسة بسبب ضرائب السلطة، يحملون أسلحتهم ليلا لحراسة مواشيهم وممتلكاتهم[3].

ومن مناطق الشمال انتقل إلى الجنوب فزار تادلا وسوس ومنطقة درعة، وكتب عن أهم الأنهار مثل أم الربيع، وواد ملوية وروافده، وتنقل عبرها باستعمال المشارع أو المعابر أو مشيا على الأقدام

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص: 134.

[2] –كمال بن صحراوي، "حركة التنصير في الجنوب الجزائري شارل د وفوكو انموذجا"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية، جامعة ابن خلدون تيارت الجزائر، المجلد: 03، العدد: 01، (يناير 2020)، ص: 264.

[3]– شارل دو فوكو، **التعرف على المغرب 1883–1884**، ترجمة: المختار بلعربي، ط: 01، دار الثقافة المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1999، ج1، ص: 11.

والدواب، وركز في عملية التسجيل بدقة على عرضها وعمقها وحتى طعمها ولون مياهها والتيارات، ورسم أهم النقاط التي وجدها سواء كانت طبيعية أو عمرانية، كما سجل معلومات هامة عن سكانها وعاداتهم وطعامهم ولهجاتهم، ودامت هذه الرحلة عشرة أشهر ثم غادر وجدة عائدا للجزائر في ال 23 من شهر ماي عام 1884م[1].

وكان دو فوكو مهتما باستغلال كل دقيقة من وقته وحريصا على عدم إضاعته في أي شيء لا يتصل بمهمته، وبسبب ذلك ذكر أنه كان شديد التذمر من عطل يوم السبت لدى اليهود، فيذكر أن السابع من شهر يوليو و في طريقه إلى جبل صرصر، صادف ذلك يوم سبت فكان عليه أن لا يغادر مكانه مدة أربعة وعشرين ساعة وأنه لم يعرف هما كهذا الهم حيث سيضيع منه اثنان وخمسين يوما في هذه السنة، ولم يكن يستطيع أن يستغل ذلك الوقت في الكتابة خوفا من انكشاف أمره، فذلك اليوم ممنوع فيه السفر وايقاد النار للطبخ وحساب النقود، وهي أمور يلتزم بها كثيراً يهود المغرب ولا يتأخرون عن أداء صلواتهم والاحتفال بأعيادهم[2].

ودام سفره قرابة العام قضى منها ثمانية أشهر في رحلته، وقرر أن يبقى شهرا آخر في انتظار المستجدات وأثناء ذلك كان يكتب لأخته "ماري" باستمرار، يطمئنها عليه وقد أخبرها بأنه صرف مبلغ أربعة آلاف فرنك من مجموع الستة آلاف التي جمعها للرحلة، وأكد لها بأنه سيتجه نحو الجنوب للعودة إلى الجزائر عبر الطريق التالي: مزغيتة ثم داداس ثم تودرا فركلة فعقابي الشرفة، ثم عبر مجرى واد ملوية، ثم دبدو ثم إلى وجدة، ومنها سيدخل الأراضي الفرنسية عن طريق لالا مغنية ويلزمه لقطع هذه المسافة قرابة الشهرين والنصف، كما أكد أن رحلته من الناحية الجغرافية تمت على ما يرام[3].

وكانت آخر نقطة في هذه المرحلة هي الاتجاه نحو مدينة وجدة، الواقعة على سهل انكاد الذي يمتد حتى مدينة مغنية وعدد سكانها أقل من منطقة القصر الكبير، والتي وصفها بالتميز بمنازلها البيضاء

[1]- المصدر نفسه، ص: 6.

[2] - المصدر نفسه، ص: 24.

[3]- René Bazin, op-cit, p: 71.

وبساتينها الواسعة، وتبدو على سكانها مظاهر الغنى والازدهار بسبب حركة التجارة مع الجزائر، وذكر أنه يستطيع أي شخص إذا قدم طلبا للقايد الحصول على خفر يرافقه حتى الحدود الفرنسية، بسبب قلة الأمن وذلك بمقابل مادي، وصادف وهو في الطريق قافلة لتجار يهود من تلمسان متجهة إلى دبدو، وقد غادر وجدة صباح يوم ال23 ماي ودخل إلى مدينة لالة مغنية[1].

وبعد عام من عودة دو فوكو إلى الجزائر، قدم دوفيري في ال 24 من شهر أبريل عام 1885م للجمعية الجغرافية الفرنسية بباريس تقريرا حول مهمة شارل د وفوكو المعنونة ب: التعرف على المغرب، والذي يغطي سير رحلته عبر ستمائة وتسعة وثمانين كيلومتر من العمل والملاحظات، ثم مسافة أخرى تقدر بألفين ومائتين وخمسين كيلومتر تضمنت جرد لكل المرتفعات والمنخفضات التي كانت مجهولة بالنسبة للفرنسيين، إضافة الى الملاحظات الفضائية وتصحيحه للمعلومات الخاطئة السابقة[2].

وبعد أن عاد إلى الجزائر سنة 1885م قام بزيارة العديد من المدن الصحراوية منها الأغواط وغرداية ومنطقة وادي ميزاب ووحاتها ومدينة القليعة، إضافة الى مدينتي ورقلة وتوقرت[3]، كما زار وهران ثم تونس ومنها اتجه إلى فرنسا سنة 1886م التي بقي بها الى غاية 1901م، حيث عاد ثانية الى الجزائر أين مكث مدة عند الآباء البيض ثم اتجه إلى وهران ومنها أخذ طريقه إلى العين الصفراء عبر القطار ثم غادر مع بعض الخيالة الفرنسيين إلى بني عباس، التي وصلها يوم ال 28 من أكتوبر عام 1901[4]، وهو محملا بأفكار القس هافولين الذي تأثر به كثيرا أثناء اقامته بباريس مثلما تأثر بمجموعة الأرداش الدينية (Ardèche) التي تدرب معها على تطهير نفسه بالأعمال الشاقة[5].

- **رحلته الى الشام:**

[1] -شارل دو فوكو، المصدر السابق، ص: 348.

[2]- René Bazin, op-cit, p: 76.

[3]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:06، ص: 134.

[4]- عميرا وي أحميده، المرجع السابق، ص: 119.

[5]-كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص: 264.

زار سوريا وبيت المقدس سنة 1888م وانخرط في الجمعيات الدينية كما زار منطقة الإسكندرون، وهو دليل على العلاقة القوية التي ربطته بلا فيجري والماسونية، وبعدها اتجه إلى روما عام 1897م ثم عاد إلى سوريا وزار بعدها الناصرة بفلسطين[1].

امتدت رحلته إلى الناصرة من شهر مارس عام 1897م وحتى أوت من سنة 1900م، واتجه بداية الى كنيسة سانت كلار (Saint-Claire)، وبعدها انتقل للإقامة بالدير كخادم[2]، حيث كان يشتغل في الخريف مع المقيمين بالدير بتنظيف الحقول وفي الشتاء يهتمون بجمع الحطب وفي الربيع الاهتمام بالكروم أما في فصل الصيف فينشغلون بجني المحاصيل، وهذه الأعمال الشاقة كان هدفه منها مساعدة الفقراء والمزارعين والشعور بسمو الروح وإعدادها لتحمل المشاق وأداء الصلوات[3].

وفي التاسع من جوان عام 1901م عين راهبا فكتب لصديقه المستكشف "هنري دو كستريس" يخبره عن رغبته في إقامة دير على الحدود مع المغرب، وقد غادر كنيسة (N,D, des neiges) في ال 06 سبتمبر وفي العاشر منه وصل إلى الجزائر فاستقبله الأب قورين (Guerin)، ورخص له في الإقامة في بني عباس[4].

- **رحلاته بالصحراء الجزائرية:**

- رحلته إلى بني عباس:

اختار دو فوكو بني عباس[5] بسبب ما رآه من بؤس أهلها، وكذلك بسبب عدم وجود ولا راهب واحد بالمنطقة وقربها من الحدود المغربية، وقد أسره جمالها وأعجب بها وكان يدرك ومأخوذا بجمال واحات الجنوب الجزائري التي تبدأ من فقيق وتتجه لغاية عين صالح، وتغطي شمالها الشرقي مساحات

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:06، ص: 134.

[2] - Frongois Six, op-cit, p: 59.

[3] - René Bazin, op-cit, p: 118.

[4] -jean François six, op .cit,p :159

[5] - بني عباس واحة تحتوي على 7 إلى 8 آلاف نخلة تنمو على الضفة اليسرى لواد الساورة، حيث الرمال الكثيرة والعيون، والساورة فرع لواد زوزفانة القادم من فقيق والذي يجتاز إلى أربعين كيلومتر شمال الواحة مع واد قير النازل من مرتفعات الأطلس الكبير المغربي، ينظر: René Bazin, op-cit, p: 200.

من الكثبان الوردية والذهبية من العرق الغربي الكبير، حيث يصل ارتفاع بعضها الى المائة والخمسين وحتى المائتي متراً،و اهتم بالبحث عن المكان المناسب لإقامته فاختار قطعة أرض على الضفة الشرقية للواد تبلغ مساحتها سبع أو ثمانية هكتارات وقد كلفه ذلك مبلغ ألف ومائة وسبعين فرنكاً[1].

وقد وصلها يوم ال 28 أكتوبر 1901م، بعد رحلته التي قادته إلى وهران والعين الصفراء، وفيها تلقى موافقة الحاكم العام لمنظمة الآباء البيض التابعة للافيجري، فيظهر نتقاطع مشروع دو فوكو مع مشروع لافيجري الهادف إلى تنصير سكان الجزائر باسم فرنسا وأوروبا المسيحيتين، وشارك المجندون ضمن الجيش الفرنسي في بناء الدير الذي خصصه دوفوكو لعلاج المرضى وتقديم المساعدات، كما انشأ بالقربة حديقة غرس بها بعض الخضر والفواكه[2]، وكان يقدم فيه ما يحتاجه الجنود الفرنسيين من رعاية وخدمات، واستغل فترة تواجده هناك في التقرب من السكان المحليين وربطته بقائد المنطقة "دي سيبسيال" علاقة جيدة[3]، والذي كان كثيرا ما يشاركه الطعام مع جنوده الذين أصبحوا يترددون بكثرة على دو فوكو[4].

بعد ذلك رافق الجنرال هنري لا برين في رحلة استكشافية إلى عين صالح والتي مكث فيها ثلاثة أشهر، استغلها في تعلم لغة الطوارق "التماشق"، حتى تكون وسيلة له لنشر المسيحية بينهم، وأنجز خلالها تقريرا ضمّنه خصائص حياة الطوارق[5].

- رحلته الى الهقار:

في الفاتح من شهر أبريل والثامن منه عام 1905م بعث له الجنرال لابرين[6] رسالتين يدعوه فيهما لقضاء فصل الصيف بالهقار رفقة الضابط "دينو" (Dinaux) قائد ملحقة عين صالح وضابط الحامية

---

[1]- jean François six, op .cit,p: 220.

[2]- عميرا وي أحميده، المرجع السابق، ص: 120.

[3]- حميد قريتلي، المرجع السابق، ص: 223.

[4]- عميرا وي احميدة، المرجع السابق، ص: 121.

[5] حميد قريتلي، المرجع السابق، ص: 224.

[6]- José Germain, Stéphane Faye, **le General Laperrine Grand Saharien**, Edition Librairie Plon, Paris,1922, p : 07.

العسكرية لتيديكلت، ولم يكن باستطاعة دوفوكو مغادرة الساورة قبل الخريف، ولم يقرر بعد إذا كان سيعيش نهائيا في بني عباس أو يقسم وقته كرجل دين ورحالة ما بين الساورة وقورارة وتوات وتيديكلت والطوارق[1].

في ال22 أبريل تلقى من الآب قيرين والأب هيفولين الرد بالموافقة على اقتراح لابرين، وفي الثامن من شهر جوان إلتقى عند أحد آبار توات بالضابط دينو، الذي كان يرافقه السيد غوتييه (Gautier) وهو مستكشف وجغرافي، والسيد شيدو (Chudeau) وهو جيولوجي، إضافة الى السيد بيار ميل (Pierre Mille) مفتش البريد والتلغراف والسيد أتيينو (Etiennot)، وأثناء الرحلة أرسل الضابط دينو البريد من أجل البحث عن الأمينوكال الجديد للهقار، الذي كان بتينزواتين، وتلقى بعدها رسالة من موسي آق آمستان، الذي التحق في اليوم الموالي بالمخيم لتحية المسؤول الفرنسي، وقد وصف دو فوكو موسى آق آمنستان بأنه مسلم متفتح وذكي، يحب المال وقال أنه كان يرغب كثيرا في زيارة مدينة الجزائر وفرنسا[2].

بعد هذه الرحلة اتخذ دو فوكو قراره بالاستقرار في تامنغست وبدأ يفكر في بناء بيت وحديقة، بهذه المدينة الصغيرة الواقعة في قلب الهقار، والتي لا تجود بها حامية فرنسية ولا تلغراف ولا أوروبيين، ولذلك عمل على جلب حدائقي وطبيب ومختص في حفر الآبار وبعض النساء لتعليم الحياكة والنسيج لنساء المنطقة، إضافة إلى متاجر لجلب ما يحتاجه السكان الطيبون من مواد غذائية، وقد اعتبر أن المشكل الوحيد في تامنغست هو عدم وجود ولا راهب، ولذلك شرع بسرعة في بناء المعبد وأقام فيه أول صلاة يوم السابع من سبتمبر عام 1905م، وشرع في تسجيل ملاحظاته عن الجغرافية التي شدته إليها، خاصة ارتفاع المنطقة بحوالي ألف وأربعة مائة وأربعة وتسعين مترا عن مستوى سطح البحر ونمو نبات القطف وأخرى تشبه الحلفاء[3].

---

[1]- René Bazin, op-cit, p: 307.

[2] - Ibid, p: 308.

[3]- Ibid, p : 310.

- أسباب اختياره الاستقرار في تامنغست:

وقد وقفت مجموعة دوافع خلف اختيار دوفوكو الإقامة النهائية في منطقة تمنراست وهي:

- ✓اعتقاده أن الطوارق لديهم تعلق سطحي بالإسلام بسبب بعدهم عن المدن الكبرى حيث تكثر المساجد والمؤسسات الدينية.
- ✓الظروف الطبيعية للمنطقة والتي تصعب عليهم التواصل مع العلماء.
- ✓قلة عدد سكان المنطقة من جهة وهدوئها وأمنها من جهة أخرى.
- ✓المكانة التي يحظى بها الأمينوكال موسى زعيم الطوارق، والذي دفعه الفرنسيون إلى التعامل مع فوكو وجمعت بينهما صداقة قوية[1].

وعموما فان دو فوكو فضل الصحراء الجزائرية كحاضنة لمشروعه بسبب فقر أهلها ولكونهم كفارا في نظره وبعيدين جدا عن الإنجيل وبالدرجة الأولى لأنها مستعمرة فرنسية[2].

وبسبب أسلوبه المتميز نجح دو فوكو بعد مدة في كسب ثقة الطوارق، وأصبح يحظى باستشارتهم له في كل أمورهم، فكان يتدخل لفض النزاعات بينهم ويصدر الأحكام ويتدخل أيضا لدى الإدارة الفرنسية، تلك الإدارة التي كان يراها في بعض الأحيان قاسيةً على الأهالي، وبذلك كسب مختلف شرائح المجتمع الطوارقي فاستطاع الوصول إلى تحقيق أهدافه، فمثلا استفاد مما قدمته له ابنة عم الأمينوكال من أشعار وقصص وخرافات وأمثال وألغاز يزخر بها التراث الطوارقي، وهو الشيء الذي كان يبحث عنه، كما جلب له سلوكه تعاطف حتى النساء الضعيفات من طبقة الحراطين، وصرن يدعن له الله بأن يهديه للإسلام لأنهم رأوا أنه لا يستحق دخول النار كما صرحوا بذلك لصديقه الجنرال لابيرين[3].

وكان لفوكو أسلوبا خاصا ينطبق مع المهمة التي يريد تنفيذها، ويتضح ذلك من خلال طريقة التعبير والتفكير وتسلسل الأفكار وبساطتها، كما كان يقسم وقته بين العبادة والاتصال بالسكان وركز

---

[1] -كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص: 266.

[2]- عمرواي احميدة، المرجع السابق، ص: 161.

[3]- جورج غير ستر، المرجع السابق، ص: 171.

على إعطاء صورة حسنة عن رجل الدين المسيحي[1]، وكانت الميزة الأبرز في أسلوب دو فوكو هي الصبر وطول النفس وعدم الياس وظل متشبثا بمشروعه لغاية مقتله، لكونه كان مؤمنا برسالته ولكونه جندي فرنسي في مجال آخر وهمه الوحيد هو نجاح فرنسا في الاستحواذ على شمال افريقيا[2].

ثالثا: مشروع دوفكو بالجنوب الجزائري

لم تكن مهمة دو فوكو نابعة من عمل فردي أو منعزل ولكنها تندرج ضمن مشروع فرنسي متكامل، تشارك فيه كل السلطات والأجهزة والحكومة العامة ووزارة الخارجية الكي دورسي (Quai d'Orsay)، فالصحراء كانت منطق عسكرية يديرها الجيش الفرنسي، الذي كان هدفه التأثير النفسي على السكان لإعدادهم بالقوة لتقبل الاستعمار، وهذا المشروع العسكري كان بحاجة لرجل دين مسيحي يزين صورة الاحتلال الفرنسي فكان د وفوكو هو الرجل المناسب لهذه المهمة، التي يصعب تحقيقها بالمسلمين والعلمانيين الفرنسيين[3].

- **التبشير:**

ساهم الدير الديني الذي أسسه دو فوكو في التأثير على الجنود الفرنسيين وعلى حياة السكان المحليين بحيث لعب دور الوسيط بين الجزائريين والسلطة الفرنسية العسكرية، كما كان عاملا نفسيا مؤثرا في جلب الجزائريين إلى الحضارة الأوروبية.

ركز دو فوكو على خدمة السكان المحليين في المجال الطبي وعلى تعليمهم بعض الأشياء، التي تفيدهم، خاصة وأنهم في منطقة نائية، وذلك ما مثل غطاء لمشروعه، فقد قام بشراء العديد من العبيد واستغلهم في خدمته وعمّد البعض منهم وأولهم الطفل عبد المسيح، الذي عمده يوم 12 جويلية 1902م وعمره لم يتجاوز الثلاث سنوات والنصف[4].

---

[1] -كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص: 265.

[2]- المرجع نفسه، ص: 271.

[3]- نفسه، ص: 265.

[4]- عميرا وي أحميدة، المرجع السابق، ص: 121.

وعلى نفس نهج لا فيجري سار دو فوكو في تصرفاته بأقصى الجنوب، حيث لم يبدأ في تطبيق مشروعه حتى ظهر بلباس القندورة ووضع على راسه طاقية وأطلق لحيته، وكان يمشي في بعض الأحيان حافيا يضع على رقبته بعض التمائم والحجابات ويركب الجمال والحمير، جامعا حوله المشردين والفقراء والمحتاجين فيما يشبه المريدين والأتباع فأتقن تقمص دور الزهد والورع بعدما كان يرتدي الزي العسكري[1].

وظل يتنقل في الصحراء كمستكشف وكانت له علاقات بمختلف السفارات الفرنسية والقنصليات سواء في المشرق أو بلاد المغرب، وأيضاً مع المكاتب العربية، وركز على أسلوبه الإنساني حيث ظل يحاول كسب الأهالي عن طريق التبرعات والإحسان إليهم والتقرب منهم لمعرفة لغتهم كما ربطته في تلك الفترة صداقة قوية مع الماريشال ليوتي والجنرال لابرين[2].

وكانت أهم شخصية عسكرية ارتبط بها الأب شارل دو فوكو ونسّق معها الخطط لتحقيق مشروع الصحراء الفرنسية هو الجنرال لا برين، فلما غادر الجنرال إلى فرنسا لم يترك في الصحراء فرقا عسكرية وحاميات، بل ترك صديقا مثله رجل أفعال مثله، رجل في خدمة الرب وهو كذلك رجل فرنسا.

ففي عام 1881م كانت بداية العلاقة بين الجنرال لابرين ضمن الفرقة الرابعة لصيادي الجيش الافريقي الفرنسي ورفيقه في سان سير ومدرسة سومير دو فوكو[3]، وفي السادس من مارس عام 1903م، وصل الجنرال لابرين إلى بني عباس حيث أنهي دو فوكو بناء إقامة الأخوة، فالتقى الرجلان اللذان تجمعهما نفس الروح ونفس الشعور بالواجب الوطني، الذي من أجله هما قادرين على التضحية بكل شيء حتى حياتهما، وقد أخبره الجنرال بأنه تلقى الأوامر بالاتجاه الى تمبوكتو مرورا بتيديكلت والسودان للسيطرة على الهقار والزحف نحو اغداس وأخيرا للوصول الى الأطلسي جنوب درعة[4].

---

[1]- أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص: 414.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج: 06، ص: 134.

[3] - Germain, Faye, op-cit, p: 29

[4]- Ibid,P: 30.

وفي سنة 1905م توجه دو فوكو من بني عباس إلى منطقة الهقار وعمره آنذاك سبعة وأربعين سنة، تعود أسباب اختياره لتمنراست إلى عدة عوامل منها؛ الموقع الاستراتيجي، الذي يتمتع به المكان، حيث يتوسط سلسلة جبلية تعيش بها إحدى أهم القبائل هناك "قبيلة داق رال" المتكونة من عشرين أسرة أي حوالي مائة شخص، إضافة إلى ما كانت تتمتع به هذه الناحية من أمن واستقرار وعزلة، كما لعب تشجيع زميله الجنرال لابرين لزيارة الهقار دورا مهما، وما حفزه أكثر على قبول العرض المقدم إليه هو اعتقاده أن الطوارق سيقبلون دعوته كونهم أقل تعلقا بالإسلام حسبما كان يعتقده، فرأى أن أحسن وسيلة ستساعده على تحقيق مشروعه هي تعلم لغة الطوارق[1].

وقد ارتكزت مهمة دو فوكو بالهقار على تحقيق هدفين هامين وكل منهما يكمل الآخر، أولهما المساعدة على التوغل الفرنسي بالمنطقة وثانيهما العمل على التبشير بالمسيحية وتنصير سكانها[2]، ومن أجل ذلك دعا إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بتمنراست، فاقترح جلب خبراء في مجال البستنة وحفر الآبار إضافة الى طبيب وتعليم النساء النسيج وفتح بعض المتاجر كما انتهج سياسة التقرب من أعيان القبيلة، فاتصل برئيس الطوارق الأمينوكال موسى آق آمستان الذي اصبح صديقه، ونصحه بتحسين ظروف السكان عن طريق نشر التربية الخلقية في أوساطهم والتعليم الفرنسي حسب الحاجة، وضرورة تشجيع الرحل على الاستقرار مع الاستمرار في تربية المواشي، وذلك في شكل قرى يعتمد فيها السكان على الزراعة والحرف اليدوية، وكان يأمل أن يصل البريد والتلغراف إلى المنطقة لتسهيل الاتصال، إضافة الى تدعيمه لفكرة مشروع السكة الحديدية بالصحراء، حيث رأى في ذلك عاملا مهما لنقل الحضارة ومدعما لمشروع التبشير والتنصير وهوما يظهر فلسفة دو فوكو في مجال التبشير[3].

[1] – الشيخ أبو عمران، "شارل دو فوكو في تامنغست 1905-1916"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر، العدد : 76، السنة: 13، (1983)، ص: 80.

[2] – المرجع نفسه، ص: 81.

[3] – نفسه، ص: 81.

ففي نظر دو فوكو الجزائر والمغرب وتونس والصحراء والسودان تشكل إمبراطورية رائعة وواسعة، والتي توحدت لأول مرة، ولربط هذه المناطق يجب على فرنسا أن تنقل لها الحضارة وتعمل على تربية سكانها وتطوير أخلاقهم قدر المستطاع، فسكان الإمبراطورية الفرنسية متعددو الأعراق، منهم البربر الذين بإمكانهم التطور بسرعة لأنهم يشبهون الفرنسيين، أما العرب فإنهم يتطورون ولكن ببطيء، والسود مختلفون تماما، ولكن الجميع بإمكانهم التطور، وتنصير امبراطورية شمال غرب افريقيا الفرنسية هي مهمة الآباء البيض الذين وصل عددهم في 1910-1911 م، إلى ستة وخمسين راهبا في شمال إفريقيا وأحد عشر في الصحراء، رغم معرفة الآباء البيض أن مهمة تنصير المسلمين صعبة وبطيئة جدا[1].

وركز دو فوكو في مشروعه التنصيري على تعليم الأطفال مبادئ الإنجيل، حيث رأى فيهم الجيل المسيحي الجديد الذي سيظهر بالصحراء لأن المسلمين لا يقبلون أية نصيحة أو حوارا فيما يخص الدين إلا من رجال الدين أو المرابطين، ولذلك أدرك أن المهمة صعبة ويلزمها الصبر، فكان يرى أنه حتى يتحقق ذلك يجب على رجال الدين الظهور بمظهر القداسة والاحتكاك باستمرار بالمسلمين ودون انقطاع والتكلم معهم في كل الأوقات والظروف، وحتى في مجال الحوار كانت له وجهة نظر في المجال النفسي فاقترح الإكثار من وضع مقاعد الجلوس في الساحات لأن التحاور مع شخص وهو جالس يكون له وقعا أفضل من أن يبقى واقفا، وأشار أنه يركز على جذب الفقراء والتأثير عليهم لتقبل الإنجيل وفي نفس الوقت عدم إهمال الأغنياء ومحاولة التأثير عليهم أيضا لأن الفقراء يتأثرون دائما بهم ويتبعونهم[2].

كما اعتمدت فلسفته على شراء العبيد وتخليصهم من الاستغلال بهدف تنصيرهم كما فعل مع أحد البربر الذي اشتراه من قبيلة "ذوي منيع " يوم ال 04 من جوان عام 1902م مقابل أربعمائة فرنك وبحضور أحد الجنود الفرنسيين، وكان يبلغ حوالي خمسة وعشرين عاما أخذه عنده ليشتغل في

[1]- René Bazin, op-cit, p: 408.

[2]- Ibid, p: 254.

الحديقة، كما قام يوم ال 12 من جويلية بتعميد أول عبد أسود في مدينة بني عباس يبلغ من العمر الثلاث سنوات ونصف وأطلق عليه اسم "عبد المسيح"، كما سبق الحديث عنه[1].

وظل مركزا مجهوداته على جلب العبيد إلى مشروعه التنصيري، ففي العشرين من شهر يناير عام 1903م كما ذكر في تقاريره أن اثنين من الحراطين[2] جاؤا من انقيد وطلبوا منه قبول دخولهم إلى المسيحية وهم فجير بركة بن زيان وفجير مبارك، كما تم شراء طفل يبلغ من العمر الثالثة عشر في الواحد والعشرين من نفس الشهر والسنة، وهو من توات كان مستعبدا منذ ست سنوات وقد صرح حتى قبل شرائه أنه يريد اتباع ديانة عيسى والبقاء مع الأب دوفوكو، وفي منتصف النهار أعلن دخوله الكاثوليكية وحمل اسم بيار (pierre)[3].

وكان دو فوكو على اتصال دائم مع الأب قرين القائد الروحي له، حيث اشتكى له من قلة الإمكانيات المتوفرة لديه، وبعث له من بني عباس الصحراوية بتقرير حول كيفية النهوض بالمنطقة وأوضح له أن أول عمل يجب القيام به في الدير هو تحرير العبيد، الذين يعانون البؤس ويعاملون بقسوة من طرف العرق العربي وخاصة المرابطين، وأنهم ينظرون للمسيحيين الذين يحسنون اليهم كمنقذين وربما سيصبح هؤلاء العبيد المسيحيين الصحراويين يوما ما يشكلون الغالبية مثلما حدث في روما، وقد اقترح العمل الثاني المتمثل في تقديم الطعام للمسافرين الفقراء الذين يبيتون في العراء ليلا في أجواء باردة[4].

وسعى كذلك إلى الاهتمام بما سماه التعليم المسيحي للأطفال، فلا توجد مدارس في كل الواحة ما عدا مدرسة واحدة للمسلمين، وحيث يقضي الأطفال يومهم في الجري مهملين بدون اهتمام، ولذلك يجب سريعا على الأقل توفير قاعة لتعليمهم القراءة والكتابة والفرنسية والتاريخ الروحي والكاثوليكية، وأين يمكننا ان نقدم لهم بعض حبات التمر في الصباح وفي منتصف النهار القليل من

---

[1]- ibid, p, p: 228, 229.

[2] - الحراطين: مفردها حرطاني، وهم سكان تميل بشرتهم إلى اللون الأسود كان ينظر إليه كطبقة ثانوية في المجتمع ويعملون بشكل عام كخماسة، ينظر: Henri Bissuel,op-cit, p: 15.

[3] -Ibid, p: 234.

[4] -Ibid, p: 219.

الشعير المطبوخ ولن يكلف ذلك كثيرا، وبلا شك سيكون هناك عدد قليل من الأطفال العرب في المدرسة المسيحية ولكن صغار البربر عرق هادئ وعندهم قابلية للاتينية، كونهم يعرفونها مسبقا وستكون هذه المؤسسات في المستقبل بربرية وسيدخلها حتى العرب[1].

إضافة إلى ما اقترحه دو فوكو فقد نصح حكومة بلاده بضرورة إنشاء مؤسسات حيوية بالمنطقة لإنجاح مشروعه، مثل المستشفى المدني وآخر عسكري، واقترح زيارة المرضى في محل إقامتهم وهو أسلوب جديد سعى لتطبيقه وكذلك توزيع المراهم وبعض الهدايا كتعبير عن الأخوة للجنود والملازمين والمسلمين واليهود وكل السكان، وكما كان يسعى إلى تكوين من يساعده وأيضا إلى توسيع الدير الذي أصبح لا يسع لاستقبال زواره، فالعبيد الذين يلجأون إليه يفوق عددهم العشرين يوميا فيضطر لاستقبالهم وتعليمهم الصلاة، أما كبار السن المشردين فإن ما يقدمه لهم من غذاء قليل جدا، وقدر عدد الأطفال الذين يلجأون اليه يوميا بأكثر من ستين طفلا ولذلك كان يرى في كل ذلك فرصا لنشر المسيحية بمساعدة حكومة بلاده[2].

إن العلاقة القوية التي كانت تربط دو فوكو بالقادة العسكريين أمثال الجنرال ليوتي، لهو خير دليل على انغماس الراهب في المشارع الخطيرة التي كانت تتعدى التبشير، إلى ضرب الوحدة الدينية وقطع الصلة مع الخلافة العثمانية والتحكم في الحج، والأكثر من ذلك أن ليوتي كان يسعى لتنفيذ مشروع الخلافة المغاربية أو ما سماه بإعادة إحياء الخلافة الموحدية بزعامة خادمه المخلص مولاي يوسف، والهدف من ذلك هو السيطرة على منطقة الغرب الجزائري للوقوف ضد تأثير الفرق الدينية، التي تقود حركات التمرد ضد فرنسا ومصالحها، كما دافع ليوتي عن مشروعه بكون المسلمين في المناطق الصحراوية وإفريقيا سيعترفون بخلافة مولاي يوسف بسهولة، وذهب أبعد من ذلك حينما رأى أنه يجب أن تشمل هذه الخلافة حتى تونس عن طريق تأثير علماء القرويين على علماء الزيتونة[3].

---

[1]– Ibid, p: 220.

[2] –Ibid, p: 220.

[3]– صادق سلام، **فرنسا ومسلموها، قرن من السياسة الإسلامية 1895–2005**، ترجمة: زهيدة درويش جبور، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2012، ص: 194.

ولما بعثت الحكومة الفرنسية بلجنة تقنية إلى المنطقة في الفاتح فبراير عام 1912 تضم أربعة مهندسين متخصصين في علم الجيولوجيا، إضافة إلى ضباط عسكريين تحت اشراف عالم الجيولوجيا روني شيدو، من أجل التعرف على إمكانية إنجاز خط سكة حديدي يمر بالصحراء، أصبح هذا المشروع من أبرز اهتمامات الراهب دو فوكو خاصة وأنه صار عضوا بتلك اللجنة وعبر في مراسلاته لأصدقائه عن سعادته بإنجاز هذا الخط، الذي سيكون أهم عامل لنشر التمدن بتلك المناطق وما سيساعده على تنفيذ مشروع التنصير، وفي نظره فلا يمكن تحويل الهمج المتوحشين إلى مسيحيين[1].

وقد تعرض دو فوكو للدغة أفعى ألزمته الفراش لمدة طويلة تلقى خلالها المساندة والعلاج من الطوارق وخاصة الأمينوكال موسى، ورغم ذلك ظل مصمما على تنفيذ مشروعه، ففي الثامن والعشرين من شهر أبريل عام 1913م، عاد إلى فرنسا وأخذ معه الشاب الطوارقي أوكسيم، حيث استقبلته عائلته وكان يخطط لإدماجه في الحضارة الفرنسية ثم تنصيره، ولعله يكون خليفة له بالمنطقة ويواصل عمله، كما صرح لأحد أصدقائه بذلك وأخبره أن الشيء الوحيد الذي يجعله يعود إلى فرنسا في تلك الفترة هو إمكانية اصطحابه لشاب طوارقي ليقضي شهرا في فرنسا، إن اتصاله بالفرنسيين والإمكانيات التي سيراها هو أحسن وأسرع وسيلة تجعله يتعلم ويتطور ويتقدم[2]، ولكن الشاب خيب أماله حيث حافظ على هويته الطوارقية ولم يتأثر بالحياة الفرنسية المسيحية، وما يدل على عدم تأثر الشاب به أنه بعد كل الجهود التي بذلها الراهب فقد شارك أوكسيم عقب مقتل د وفوكو في الثورة المحلية ضد الوجود الفرنسي[3].

[1] -كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص: 268.

[2] -lettres du père Charles Du Foucauld a monsieur René Basset, Etudes et Documents Berbers, N° : 19, 20, (2002), p-p : 175- 290.

[3]- كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص: 268.

واعترف دو فوكو بفشله في تنصير ولو شخص واحد من المسلمين رغم أنه عاش بتامنغست أحد عشر سنة عكس توقعاته السابقة، ورغم ذلك ظل مصمما على مشروعه ومتمسكا به، فالطوارق أحبوا فيه ذلك الإنسان الذي يعطف عليهم ويرأف لحالهم أما د وفوكو المسيحي الذي يسعى لتنصيرهم ويحارب الإسلام فقد انصرفوا عنه وتعاونوا مع السنوسية للتخلص منه باعتباره عسكريا خدعهم بتدينه بينما كان هدفه تجسيد مشروع بلاده[1].

وتكمن خطورة مشروع دو فوكو في كونه يربط بين إصراره على نشر المسيحية ونقل الحضارة الأوروبية للمنطقة وخاصة مشروع السكة الحديدية[2]، فكان يرى أن التعمير وسيلة من وسائل التبشير وكان هدفه الأبعد تنصير كل القارة الإفريقية، وفي هذه النقطة يلتقي مع رؤية لا فيجري ولكن ما كان يتميز به أنه كان يخفي ذلك نظرا لإدراكه صعوبة تلك المهمة، خاصة في أوساط المسلمين حيث اعتمد على طريقة بطيئة غير مباشرة كان مقتنعا من خلالها أنها أفضل أسلوب يناسب الهمج غير المتحضرين[3].

وفي نفس الوقت كان دو فوكو دائما يلح على الدول الأوروبية ويدعوها إلى تنصير رعاياها الذين يدينون بالديانات الأخرى غير المسيحية، وفي المقابل كان يرى أن الطوارق يجب أن يمنعوا من تعلم اللغة العربية ولأجل ذلك سعى بكل الطرق إلى ابعاد المعلمين القادمين من المناطق الأخرى وخاصة توات لتعليم الطوارق اللغة العربية، كما قلل من ارتباطهم بالإسلام الذي ورثوه وكدليل على ذلك أنه لما باشر موسى أمنستان ببناء مسجد وزاوية اعتبر ذلك خطرا على مشروعه ودافع لتمرد السكان على السلطة الفرنسية ولذلك اقترح على حكومة بلاده في حال وفاة الأمينوكال أن لا يخلفه أحد في ذلك المنصب وأن تتولاه الإدارة العسكرية الفرنسية ورغم ذلك ظل الأمينوكال محافظا على الصداقة التي ربطتهما[4].

ومما يدل على جسامة وخطورة المهمة التي كان يؤديها الأب دو فوكو ما قاله الجنرال لا برين لأحد الضباط الساميين، حيث أخبره بأنه رجل يُعتمد عليه في مجال تحقيق السلم والهدوء والتأثير النفسي

[1]- المرجع نفسه، ص: 271.

[2] - نفسه، ص: 271.

[3]- الشيخ بوعمران، المرجع السابق، ص: 81.

[4]- المرجع نفسه، ص: 84.

والخلقي وما يقوم به في الصحراء هو نفسه ما قام به الكاردينال الكبير في تونس من أجل مصلحة فرنسا[1].

- **الجوسسة:**

لما وصل الجنرال لابرين إلى تمبوكتو رأى في دو فوكو الشخص المناسب للتجسس لصالح فرنسا وبسط نفوذها هناك، ولذلك طلب منه أن تكون إقامته بشكل دائم بالهقار حتى يكون عين فرنسا بالمنطقة[2]، فقد كانت لفوكو علاقة قوية بسلطة بلاده العسكرية في الصحراء بحكم أنه كان ضابطا سابقا، كما شارك في محاربة ثورة بوعمامة عام 1881م إلى جانب صديقه لابرين، وقد طلب هذا الأخير من الطبيب "هيريسون" أن يأخذ بنصائح دو فوكو في كيفية التعامل مع الطوارق، وكانت الاتصالات لا تنقطع بين دو فوكو ولا برين، حيث كان يكتب له باستمرار عن أوضاع الهقار وتحركات القبائل سواء الثائرة أو المتحالفة مع فرنسا، وإضافة إلى هذا كان الراهب دو فوكو يقوم باحتياطات عسكرية خوفا من رد فعل الثوار، فحوّل مقره إلى حصن وضع به ستة صناديق بارود وثلاثين بندقية مما جعل شكوك الأهالي تتأكد بشأن علاقته بالسلطة الاستعمارية[3].

وكان طموح تأسيس إمبراطورية فرنسية مسيحية محركه الرئيسي، ولأجل ذلك دعا لتظافر الجهود وانتقد المستوطنين الذين همهم الوحيد مصلحتهم، كما انتقد تصرفات العسكريين واعتبر الطرفين متسببين في عدم تمدن الأهالي، وهو ما أدى لفقدان فرنسا لإخلاص أولئك الأهالي نتيجة الاستبداد، ويدفعهم باستمرار لمقاومة الوجود الفرنسي ويعطيهم الرغبة في التحرر[4].

ولا يفوت إقامة الأسواق الأسبوعية لملاحظة ومتابعة تحركات السكان ومعرفة ما يجري بينهم وما يدور من أحاديث وأحداث، ويحاول ممارسة التبشير والدعوة لمبادئه الدينية، فكانت الأسواق والاحتفالات جزء من مستهدفاته، يريدها أن تأخذ الطابع المسيحي، وقد صرح بذلك لما زار يوم ال

---

[1] – Germain, Faye, op-cit, p: 30.

[2] –أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج: 06، ص:134

[3] –الشيخ بوعمران، المرجع السابق، ص: 87.

[4] – نفسه: ص: 87.

28 جوان عام 1902م أحد الأسواق التي كانت تقام يوم السبت لتسويق الشعير[1]، وقد راسل السلطات يخبرهم أنه في يوم ال 21 جويلية من نفس العام توفي أربعة من جنود الحامية خلال تلك الأشهر التي فيها تبلغ درجة أقصاها، اثنان منهما توفيا بعد مرضهما لمدة طويلة.

ولا يتوقف عن استقبال الناس في كنيسه سواء العبيد أو الفقراء أو المرضى، أو الجنود والمسافرين وحتى الفضوليين، الذين كان عددهم قليل مقارنة بالعبيد والمرضى والفقراء، الذين يزداد عددهم باستمرار، وكان الاحتفال بالأيام المقدسة يتم فقط يوم الأحد والمناسبات الكبيرة، حيث يحضر الجنود احتفالات عيد الشكر، كما أقدم يوم 14 سبتمبر على شراء اثنين من العبيد، الأول رب عائلة والثاني شاب يبلغ الخامسة عشر من عمره والذي منحه دو فوكو مؤقتا اسم بول (Paul)[2].

كان ينسق أعماله أيضا مع القادة العسكريين، فإضافة إلى صديقه القديم هنري لا برين الضابط السامي لإدارة الواحات الصحراوية المتمثلة في قورارة وتوات وتيديكلت، الذي لا تنقطع صلته به[3]، كان يزوره الجنرال ليوتي لما كان في منطقة بني عباس، ويقيم معه مدة طويلة يخصصها لمناقشة الوضع هناك خاصة بعد أن أنهى رحلته إلى المغرب وتوجها بكتابه الشهير.

وكتابه "استطلاع المغرب وبيان سير الرحلة "، الذي حصل بسببه على الميدالية الذهبية الكبرى وأطلق علية اسم كبير المغاربة، كون ذلك المؤلف العلمي بما احتواه من معلومات علمية غاية في الدقة اعتبر سبقا في ذلك المجال وأصبح مرجعا للقادة العسكريين الفرنسيين، وهو الشيء الذي سهل مهمتهم لاحتلال المغرب[4]، فسفره ورحلته بالمغرب كانت في سياق التمهيدات المساعدة على احتلاله، وكان من

[1]- René Bazin, op-cit, p: 229.

[2]- Ibid, p: 230.

[3] -Ibid, p: 234.

[4] – ليندة عمرواي، "شارل دو فوكو في الجنوب الغربي الجزائري، المهمة المزدوجة 1901/10/02-1905/05/03"، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة بشار، المجلد: 08، العدد: 02 ،(2022)، ص: 161.

الذين ارتكزت الإدارة الاستعمارية بالمغرب على تصوراتهم وخططهم ومعلوماتهم، وما قام به ليوتي في المغرب والآباء البيض في الجزائر كان اتباعا لنهج دوفوكو[1].

قال عنه الجنرال "مينيه" إنه داعية متمكن يتميز بغيرته على بلاده، وكان كثير الإلحاح على نشر النفوذ الفرنسي في أقصى الصحراء، ويبذل جهده لمساعدة بلاده ومراقبة ونقل أخبار المتمردين والثورات خاصة الحركة السنوسية، كما ربط علاقات وصلات متينة مع الشخصيات الهامة في الهقار مثل الزعيم موسى آق آمستان.

بل يمكن اعتباره ممثل السلطة الفرنسية هناك فكلما حل ضابط أو عسكري بالهقار إلا وأقام له مأدبة طعام ومعها الغناء المحلي وتحضرها أيضا النساء، ونتيجة لإقامته هناك ألفّ عدة كتب ومصنفات عن ذلك المجتمع ومكوناته وخاصة اللغة، وكان يوقعها باسم أحد زملائه[2].

فلما تمكن الفرنسيون من احتلال أهم الواحات بالجنوب الجزائري في مطلع القرن العشرين وعيّن الجنرال لابرين رئيسا للقيادة العسكرية الجديدة بالصحراء الجزائرية عام 1902م، والذي اختار عين صالح لتكون مركزا له، فكان هو الذي أقنع الراهب شارل دوفوكو بالتوجه الى الهقار حتى يساعد بلده في السيطرة على المنطقة، وبعد أحداث معركة "تيت" في السابع من ماي عام 1902م، ضد القوات الفرنسية بقيادة "كوتنيس" (Cottenes) ضاعف الفرنسيون حملاتهم ضد الطوارق بإشراف ودعم لا برين ودو فوكو، حيث قيل لو كان هذا الأخير متواجدا بالمنطقة لما قتل "فلاترس" ورجاله[3].

فكان عمله حلقة في سلسلة مشروع أوروبي وفرنسي كبير يعتبر الصحراء أهم ركائز إفريقيا حيث استثمر في تجارب من سبقوه كالألماني بارث ولا فيجري والمستشرق رينان، كما كان صديق للمستكشف دوفيريي، الذي قدم للجمعية الفرنسية النتائج التي توصل إليها دو فوكو في رحلته إلى المغرب الأقصى[4].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج: 06، ص: 136

[2]- المرجع نفسه، ص: 135.

[3]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص: 327.

[4] -كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص: 271.

وأولى الأب دو فوكو أهمية كبيرة لتعلم اللغة الطوارقية واعتبرها مفتاحا لفك شفرة المجتمع الطوارقي ولذلك ربط قنوات اتصال مع المؤسسات والإدارات الفرنسية، فقام بمجهود عظيم في هذا المجال نجح من خلاله في إعداد قاموس طوارقي – فرنسي، وفرنسي — طوارقي، ومن جهة أخرى كان هدفه إعداد المجتمع الطوارقي لتقبل الاستعمار واتباع المسيحية، ودعّم ذلك بترجمة الإنجيل إلى الطوارقية واعتماد المساعدات المادية التي يقدمها رجال الدين المسيحيين للتأثير على الأهالي وكل هذه المجهودات تدل على خطورة مهمته ومشاريعه[1].

وقد طلب الطبيب العسكري دوتونفيل (Dautheville)، الذي كان جد مهتم بالصحراء وسكانها والذي قضى أربع سنوات في عين صالح لدراسة التماشق والبحث في صعوباتها النحوية، من الأب دو فوكو تصحيحها بمساعدة "با حمو" خوجة الأمينوكال، وتمكن من جمع حوالي خمسمائة فعل مصرفة من طرف با حمو، كما تقدم الراهب بطلب الى الضابط لابرين التدخل لدى الحاكم العام بشأن مدرسة الهقار وكان متأكدا من أنه لن يتأخر في ذلك المسعى[2].

واهتم دو فوكو في انجاز قاموسه الطوارقي، على جميع بنى الطوراقية اللغوية، ومنها أسماء النباتات والطيور والحشرات والحيوانات وأمراض الإنسان والحيوان والملابس وأسماء الأعلام والأماكن، كما طلب سلطات بلاده مساعدته لإيجاد شخص يقبل التضحية من أجل العلم والإنسانية لا يتعدى عمره الثلاثين سنة، يتعايش مع الأهالي وقادر على التنقل معه لجمع الحكم والأمثال والأشعار، واقترح السيد مارسي وهو مترجم عسكري التقى به في تاغيت لما كان متوجها مع البعثة العلمية إلى المغرب، وكان متواجدا بطنجة وألح مرة أخرى على تعليم الأطفال الحضارة الفرنسية للحصول على الثمار المرجوة، خاصة أنهم على عكس العرب منفتحين ولديهم قابلية لذلك إذا وجدوا من يخلصهم من حياة التسكع

[1] حميد قريتلي، المرجع السابق، ص: 225.

[2]– lettres du père Charles Du Foucauld, op-cit, 26 Sep 1908.

وكان جد منشغل بمشروع السكة الحديدية ورأى ان تسارع بلاده لإنجازه في العاجل وعليها أن توفر لذلك ستين شخصا من أهالي الهقار[1].

ووصلت أخبار اندلا ع الحرب العالمية الأولى الى منطقة الهقار في الثالث من سبتمبر عام 1914م وما صاحبها من اجتياح ألماني لمختلف الدول الأوروبية ولذلك قرر دو فوكو البقاء بتامنغست لخدمة بلاده والحفاظ على أمن واستقرار المنطقة وساعده أن سكان المنطقة لم يكونوا يعرفون حتى اسم المانيا وليس لديهم اطلاع على ما يجري في أوروبا، وما كان يهمهم هو البحث عن احتياجاتهم المادية[2].

ولما وصله خبر الحرب حوّل برجه الصغير إلى مقر للعمليات وجعله في خدمة بلده، رغم أنه بعيد عن جبهة القتال، ولكن جهده كان مضاعفا وكأن الجنرال لا برين حاضرا بالصحراء، كان دو فوكو في الصحراء يقوم بدور المنشط ويحذر جيش بلده عن طريق الرسائل، التي كان يبعث بها للجنرال لا برين ويدعوا فيها للجرحى ويشجع الضباط ويزودهم بالأخبار والأحداث الجارية وكان كل أمله أن يسمع أخبار انتصار بلاده على حدود الراين، كما أوصى حكومة بلاده بتزويد موسي آمستان الذي يبدي وفاء لفرنسا بالمزيد من الذخيرة، لأن تحركات السنوسيين بدت واضحة وإذا لم تأخذ السلطات برأيه فان العواقب ستكون وخيمة كما كانت فرحته كبيرة لما حصل على ستة صناديق من الخراطيش وثلاثين بندقية[3].

ومع اضطراب الأوضاع في منطقة الصحراء صار لا يتوقف عن إرسال التقارير إلى العسكريين وخاصة الجنرال لا برين، ففي الخامس عشر من نوفمبر راسله بخصوص مركز الذهيبات على الحدود مع تونس والذي هاجمه السنوسيون الحاملين لأسلحة ألمانية بدون شك، ولذلك أرسل الجنرال "موانيه" (Moinier) قواته إلى هناك لمعالجة الوضعية الخطيرة على الحدود التونسية والطرابلسية[4].

---

[1] – lettres du père Charles Du Foucauld, op-cit, 29 Mai 1908.

[2]– ليندة عمراي، المرجع السابق، ص: 172.

[3] – Germain, Faye, op-cit, p: 34.

[4] – René Bazin, op-cit, p: 434.

وفي العاشر من أبريل عام 1916م راسل الجنرال لابرين يخبره أنه لما ذهب مع موسى آمنستان لزيارة فيهرون[1] (Fihroun Ag Alinsar)، وأثناء العودة من نيامي، اقترح هذا الأخير على موسى القيام بقتله مع فرقته فرفض موسى عرضه وقال له طريقي غير طريقك[2]، كما كاتبه في الحادي عشر من نفس الشهر يعلمه أن البرج الفرنسي بجانت مع الحدود الطرابلسية تم غزوه في بداية مارس من طرف أكثر من ألف من السنوسيين المسلحين بالبنادق والرشاشات، بينما الحامية الفرنسية لم يكن بها إلا خمسون رجلا وبعد ثمانية عشر يوما من الحصار قرر نائب الملازم إخلاء البرج حيث معظم الجنود كانت لديهم إصابات ولا يوجد إلا بئر واحد مملوء وأصبح الطريق مفتوحا أمام السنوسيين[3].

- **وفاة شارل دوفوكو:**

لفهم الأسباب التي أدت الى وفاة الراهب دو فوكو، لا بد من الإحاطة بالوضع السياسي والعسكري في الصحراء في تلك الفترة، ففي جنوب طرابلس وفزان كان سي محمد العابد الزعيم الروحي للسنوسية قد جمع في معسكره الكثير من أعداء فرنسا، طوارق الآزجر إضافة إلى سنوسية الآزجر الخارجين عن القانون، وأهالي الهقار المعروفين بالفلاقة، حيث زحف هؤلاء على المناطق التي انسحب منها الإيطاليون واستولوا على العتاد العسكري الذي تركه الجيش الإيطالي على بعد كيلومترات من غات وعلى مقربة من حصن جانت الذي تم اخلاءه إلى حصن بولينياك بسبب صعوبة التموين[4].

كما شهدت منطقة السودان تحرك العصابات المسلحة خاصة أغادس تحت قيادة الهاوسن ولم يبق بالمنطقة إلا عدد قليل من الخيم بمرتفعات الهقار، وأغلب رجال موسي آق آمستان كانوا برفقة

---

[1] – فهرون أغ النصار (1916-1960م)، محارب وأمينوكال تجمع قبائل أويليمديان الطوارقية (Iwillimidan)، التي كانت تستقر في شمال مالي والنيجر، وتتحدث التماشق، قادة ثورة ضد الفرنسيين وقتل سنة 1916م.

André Salifou, "Kaoucen et le siège d'Agadès, 1916-1917", Journal des Africanistes T: 42, F: 2, (1972), p-p: 193-195.

[2]- René Bazin, op -cit, p: 435.

[3]- Ibid,P: 436.

[4]- Ibid, P: 452

قطعان الماشية التي كانت تحت حماية مهاري حصن موتيلنسكي، أما حامية الحصن فقد تم تقليص عددها وكانت غير قادرة على نجدة الأب دو فوكو ومجموعة الحراطين التي كانت معه.

في يوم الجمعة الفاتح من ديسمبر مع حلول الظلام كان الراهب لوحده في محل إقامته الموجود بالمدينة، والذي كان بابه مغلقا، فحضر اثنان من المهاريين من حصن موتيلنسكي لأداء مهمة، وكانا ينتظران حلول الظلام للعودة إلى الحصن، وفي هده الأثناء ظهر عشرون من الفلاقة حضروا إلى تامنغست بحثا عن المرابط، الذي يريدون أخذه كرهينة والحصول على الأسلحة الموجودة بالدير، والتي كانوا على علم بها، وكانوا متأكدين من نجاح العملية بمساعدة بعض الطوارق والحراطين، حتى من الذين كان الراهب يساعدهم، وكان من بينهم أحد المزارعين المدعو المدني، وكان أولئك الرجال مسلحين بأسلحة إيطالية (Chargeurs a Cinq Coups)[1].

وكانوا حوالي الأربعين رجلا، بعضهم على ظهور المهاري والبعض الآخر راجلين، تقدموا ا في صمت وأحاطوا بإقامة المرابط دو فوكو، كان يجب أن يطرق الباب أحد المتعودين على التواصل معه فكان المدني الذي أوهمه بأنه جاء لإحضار البريد كالعادة لأنه يعرف كلمات السر[2]، ولما فتح الباب انقضت عليه مجموعة من الطوارق الذين كبلوا يديه إلى الخلف وهم يطلقون أصوات وعبارات الانتصار وتركوه تحت حراسة أحد افراد المجموعة الذي كان مسلحا، ثم أحضروا خادمه "بول" الذي وجد الطوارق محيطين بالمبنى وهم يخرجون كل ما وجدوه داخله من أسلحة وأدوات مختلفة، أما المحيطين بالراهب فكانوا يسألونه عن موعد قدوم الفرقة العسكرية، ومكان تواجدها، وهل يوجد بالبلاد عساكر، وهل يوجد بحصن موتيلنسكي جنود، وفي كل ذلك الراهب لا يرد وفي تلك الأثناء، سُمعت أصوات متعالية حينها قام الطوارقي الذي كان يحرس المرابط بإطلاق النار عليه، حيث لم يبدي أي حركة ولم يتأكد مبارك من وفاته إلا لما شاهد الدم يسيل وجسمه ينساب ببطيء حتى سقط على جنبه، وهذا

[1]– Ibid, p: 453.

[2]– Ibid, p: 453.

ما سجلته التقارير التي كتبها النقيب روش والنقيب "دو بومييه" في ال11 من سبتمبر عام 1917م وفي شهر ماي من نفس السنة وذلك بعد التحقيقات والاستجوابات وخاصة مع خادمه "بول"[1].

فجاء مقتله في سياق أعمال الثورة السنوسية التي اندلعت عام 1916م وتوسعت إلى مناطق الهقار بما في ذلك تامنغست التي وصلها المجاهدون، حيث اقتحمت مجموعة منهم حصن دو فوكو والتي تتكون من عشرين فردا للاستحواذ على الأسلحة في غياب خادمه بول، ثم قرر الفلاقة التخلص منه حيث طرق أحد الحراطين الذين كان يعطف عليهم الباب وأخبره بأنه جاءه بالبريد، فلما فتح الباب طرحوه أرضا وقيدوا يديه إلى ظهره فسقط على ركبتيه وإنهالوا عليه بمجموعة من الأسئلة وفي لحظة أطلق عليه واحد من الحراطين الرصاص فأصابه في جبينه[2].

وقد استقدم المجاهدون أحد الطوارق واسمه المدني، الذي دق الباب باسم رسول حصن موتيلنسكي ففتح له فوكو ظنا منه أن البريد قد وصل، فقام المجاهدون بتكبيله وعينوا أحدهم لحراسته ولما حاول الفرار أطلق عليه النار فأرداه قتيلا، وكان ذلك يوم الفاتح من ديسمبر عام 1916م[3]، وقد لمح الضابط "دي بومييه" إلى أن مقتل دو فوكو كان غير مقصودا[4].

وفي ال 21 من ديسمبر وصل النقيب روش ومعه جندي ورقيب حيث زاروا قبره ووضعوا عليه صليبا من الخشب، لقد كان مقتل دو فوكو صدمة كبيرة سواء بالنسبة للكنيسة في أوروبا أو بالنسبة للفرنسيين حيث ابّنه ورثاه العديد من الفرنسيين والأوروبيين خاصة أنه مات وحيدا، وقال أحد القساوسة لويس ماسينيون (Louis Massignon) بعد مقتله لقد انتهى كل شيء واتخذ قرارا بمواصلة مسيرته، كما قام اللائكي روني بازان (René Bazin) بتأليف كتاب ضخم يضم كل مراحل حياته وخاصة مشروعه التنصيري وأوصى كل الفرنسيين بمواصلة طريقه في نشر المسيحية[5].

---

[1]- Ibid, P : 455.

[2]- Germain, Faye, op-cit, p: 35.

[3]-كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص: 269.

[4]- الشيخ بوعمران، المرجع السابق، ص: 85.

[5] -كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص: 269.

واتهمت السلطات الفرنسية المتعاونين مع الدولة العثمانية والألمان بتصفية دو فوكو، فباندلاع الحرب العالمية الأولى اضطرت فرنسا لتخفيف عدد جنودها بالمنطقة ولم يبق إلا القليل منهم بحصن موتيلنسكي الذي يبعد عن بخمسين كيلومتر عن تامنغست، فتسللت مجموعة تتكون من حوالي عشرين شخصا إلى المدينة بحثا عن المرابط الرومي، كما وصف، من بينهم شخصا يدعى المدني وهو من الحراطين وكانت نهايته على يد الشخص الذي تكفل بحراسته وقيل أنه من السنوسيين، وتعود أسباب قتله إلى كون السكان اكتشفوا حقيقته فقد خدعهم بالأعمال الخيرية والتدين لتنفيذ مشاريع استعمارية سياسية لصالح فرنسا، كان رجل الكنيسة ورجل فرنسا في آن واحد يعمل في السر ويستعمل الغموض كأسلوب مع الجهلة والعوام[1].

قدم الأب دو فوكو خدمات عظيمة لبلاده سواء في المجال الديني أو مجال الجوسسة فقد زاوج بين الوسيلتين واستعملهما بالتوازي، بحيث غطت أعماله التبشيرية المعتمدة أساسا على الأعمال الخيرية، مستغلا حاجة الأهالي، ومركزا على فئة العبيد والحراطين والمرضى والمشردين، فغطت تلك الأعمال على المهمة الخفية التي كان يؤديها خدمة لبلاده في منطقة جانت على خط التماس مع مناطق نفوذ التحالف الألماني العثماني وكذلك التواجد الإيطالي وانتشار الحركة السنوسية بالجهة، فكانت رسائله وتقاريره تغطي الأحداث والتحركات بالجهة.

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج: 06، ص: 136.

خـــاتمة:

توصلنا من خلال العمل المقدم إلى حوصلة مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات تتمثّل فيما يلي:

– استهوت الصحراء الجزائرية الفرنسيون سواء منهم العسكريين أو العلماء أو المغامرين بسبب طبيعتها المميزة وثرواتها والقصص التي رواها عنها المغامرون والسواح والرحالة والمؤرخين الأوائل.

– لم يكتف الاستعماريون الفرنسيون في تنفيذ مخططهم العسكري الاحتلالي بمناطق الشمال، بل توسعت أحلامهم لضم الصحراء رغم المخاطر والصعوبات التي كانت تنتظرهم.

– مثلت الصحراء الجزائرية الركيزة الأساسية في المشروع الفرنسي الرامي إلى تكوين إمبراطورية فرنسية بالسودان الغربي، حيث كان أهم ما لفت انتباههم هو الموقع الاستراتيجي للجنوب الجزائري، المؤدي إلى غرب إفريقيا والمحيط الأطلسي، وكذلك إلى وسط إفريقيا والسودان الشرقي، اتجاه بحر العرب والمحيط الهندي، وهو الشيء الذي أدى إلى تلك المنافسة الكبيرة بين فرنسا وبريطانيا.

– بينت الرحلات الاستكشافية الأوروبية والفرنسية وحدة المصير بين الجزائر ودول الجوار، والتي أثبتتها مختلف الأحداث في أطراف الصحراء، سواء مع بلاد النيجر أو ليبيا وتونس أو تشاد ومنطقة السودان الغربي.

– ومن أجل ذلك فقدت فرنسا الكثير من رجالها وشخصياتها العسكرية والعلمية والدينية، الذين لقوا حتفهم بالصحراء في مواجهة سكانها والظروف الطبيعية.

– فوجئ الفرنسيون بما اكتشفوه من كنوز طبيعية متعددة؛ مائية ونباتية وحيوانية ومعدنية وتجارية إضافة إلى الثروات المتعلقة بالتراث الثقافي والمادي والتنظيم الاجتماعي.

– أظهرت شخصية دو فوكو التفاني والتضحية المقدمة في خدمة الأوطان، وبذل النفس وكل الامتيازات ومغريات الحياة والتعرض للمهالك من أجل مصلحة الوطن.

– لعب شارل دو فوكو دورا خطيرا مزج فيه بين الجوسسة والاستعلام، فجمع كل ما يمكن أن يفيد القادة العسكريين والسياسيين من معلومات وأخبار، وبين تقديم النصائح والارشادات بصفته ضابط ذو تجربة وخبرة عسكرية، وبين السعي إلى تنصير السكان المحليين وخاصة الفئات الفقيرة والمحتاجة والمرضى.

– استعمل دو فوكو كل الأساليب للوصول إلى تحقيق أهدافه، سواء الأساليب النفسية والاستخباراتية والصحية والتطبيب أو الحضارية الاقتصادية كإدخال أساليب الزراعة الحديثة والبناء والحرف والنشاطات اليدوية ومبادئ النظافة وإقامة الحفلات الموسيقية التي كان يلح فيها على حضور النساء الطوارقيات.

–كان يركز على جلب العبيد لمشروعه تحت غطاء محاربة العبودية والرقيق ولكن مخططه كان يرمي لضرب البنية الاجتماعية والعرقية للمنطقة.

– تحولت تامنغست بفعل مجهوداته إلى مركز حضاري تغيرت فيه التركيبة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية للمدينة، كما جعلها نقطة اتصال مهمة خاصة بعد دخول البريد والتلغراف حيز الخدمة.

–كان من أهم المشجعين والداعمين لخط النقل الصحراوي الحديدي، الذي رأى فيه دافعا لدخول الحضارة للمنطقة وبالتالي يسهل عليه تنصيرها، فقد كان مقتنعا أشد الاقتناع أنه لا يمكن تنصير أهالي المنطقة دون تحضّرها.

– للوصول إلى أهدافه أعطى دو فوكو أهمية كبرى لتعلم لغة الطوارق، وشرع في انجاز قاموس طوارقي فرنسي وفرنسي طوارقي، وهو عمل ضخم قضى فيه سنوات طويلة وضحى من أجله بصحته وراحته، وجاء في إطار التكامل بينه وبين عدة أطراف مهمة في السلطة.

– مازالت الصحراء الجزائرية محافظة على غناها وتنوع ثرواتها، وكما كانت في الماضي محط أنظار الشركات الاستثمارية الكبرى، فهي كذلك اليوم، مما يفتح لها آفاقاً واسعةً في مجال الشراكة المنتجة التي تعود على البلاد بالخير في مجال التصدير وجلب العملة الصعبة ومحاربة البطالة.

-لابد من الاستفادة مما خلفته تلك الرحلات الاستكشافية من دراسات في جميع المجالات واستغلالها في تطوير المناطق الصحراوية ومحاربة الظروف الطبيعية القاسية وخاصة المجال الهيدروليكي.

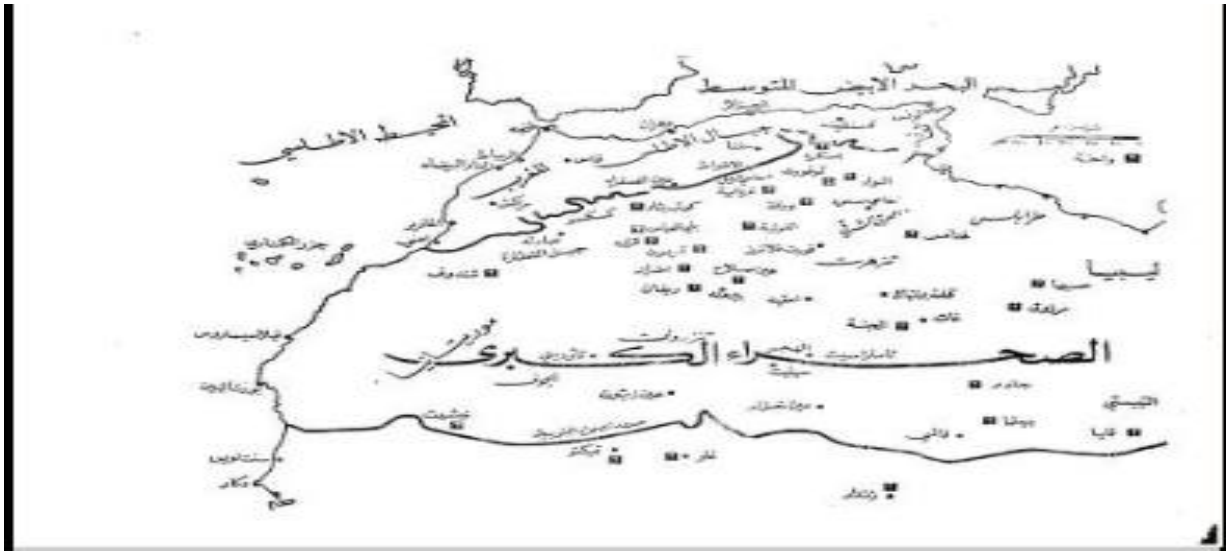
- إحياء المشاريع العملاقة التي كانت فرنسا بصدد إنجازها كالبحر الداخلي ومشروع خط السكة الحديدي العابر للصحراء، فهذه المشاريع إن تم إنجازها، ستحوّل الجنوب الجزائري إلى قطب زراعي وصناعي رائد في افريقيا.

-الاهتمام بالخدمات الاجتماعية للسكان المحليين وترقية وضعيتهم الصحية والغذائية والتعليمية التكوينية المرتبطة بالمجال الفلاحي وتربية المواشي حتى يزداد ارتباطهم بالأرض.

- إقامة أقطاب ومراكز متقدمة للنشاطات الاقتصادية وخدمات النقل، مما يؤهلها لتصبح مراكز مهمة تعزز البعد الإفريقي والمغاربي وتقوي الروابط الاقتصادية للجزائر في محيطها الافريقي والإسلامي.

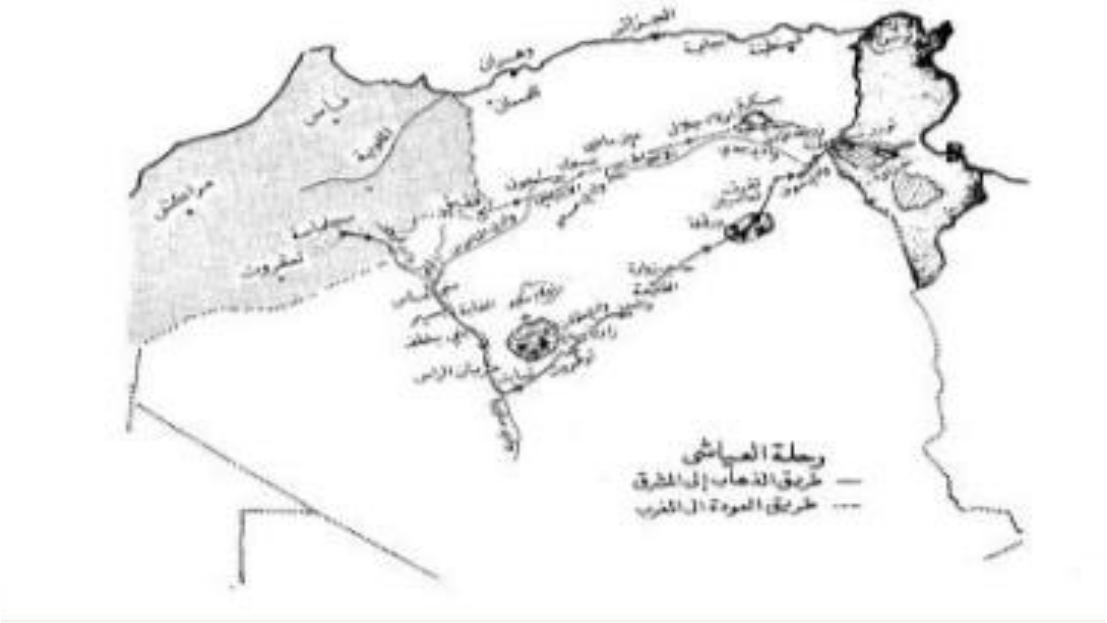
- تحصين الجهة الجنوبية حتى لا تكون عرضة للاختراق.

الملاحـــق:



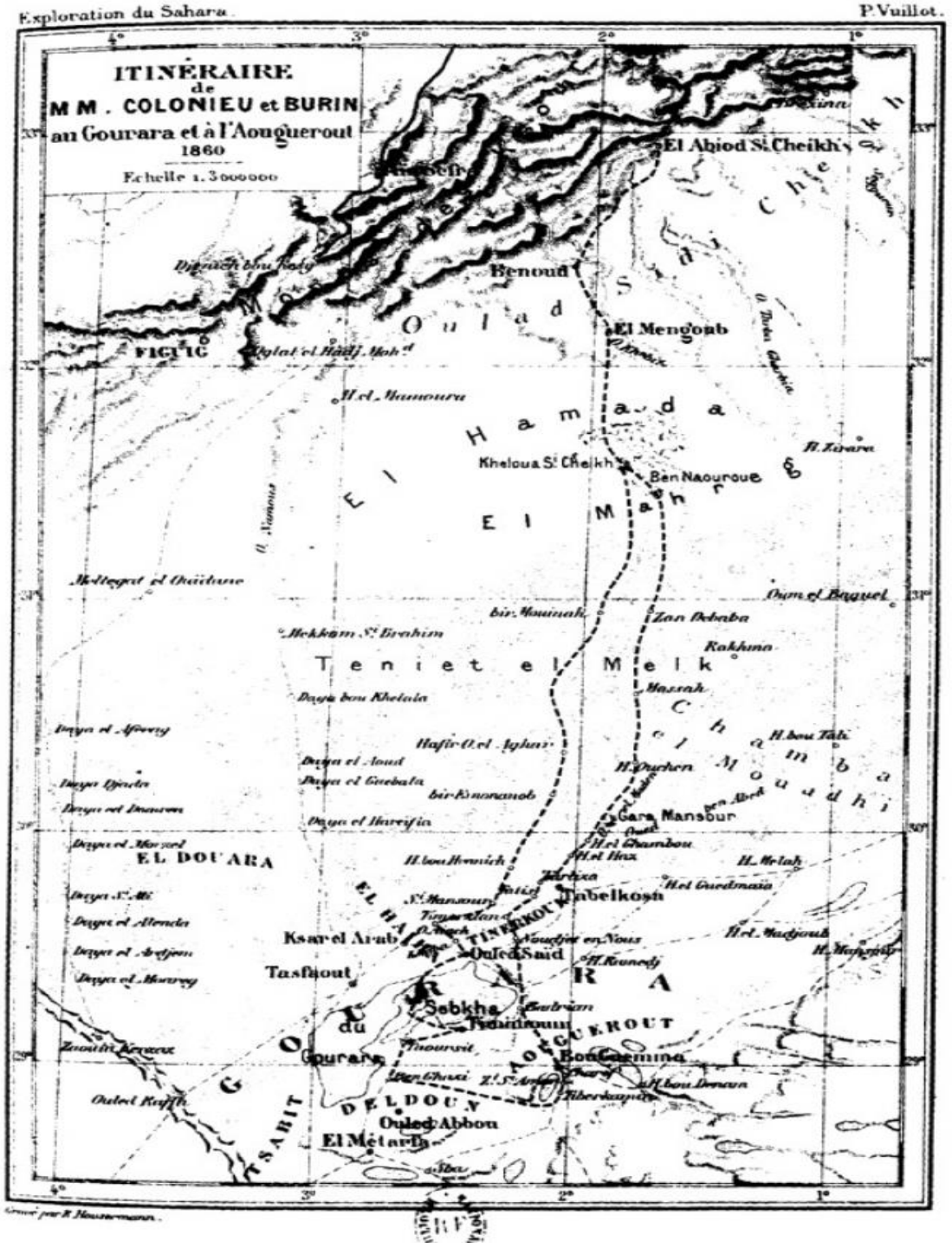
الملحق 01: الصحراء الكبرى

المصدر: جورج غيرستر، الصحراء الكبرى صفحة: 73.



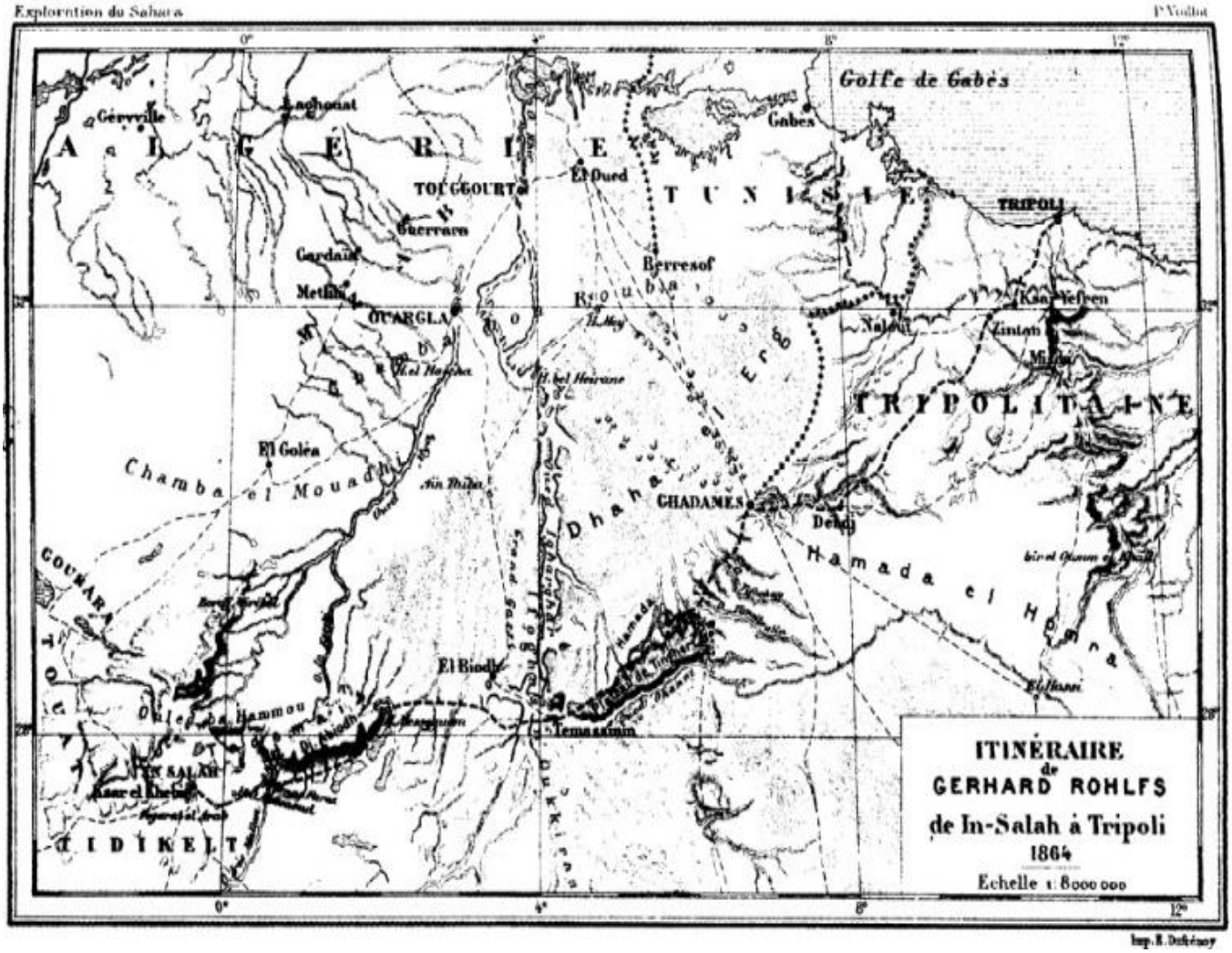
الملحق 02: رحلة العياشي

المصدر: مولاي بالحميسي، الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، صفحة: 95.



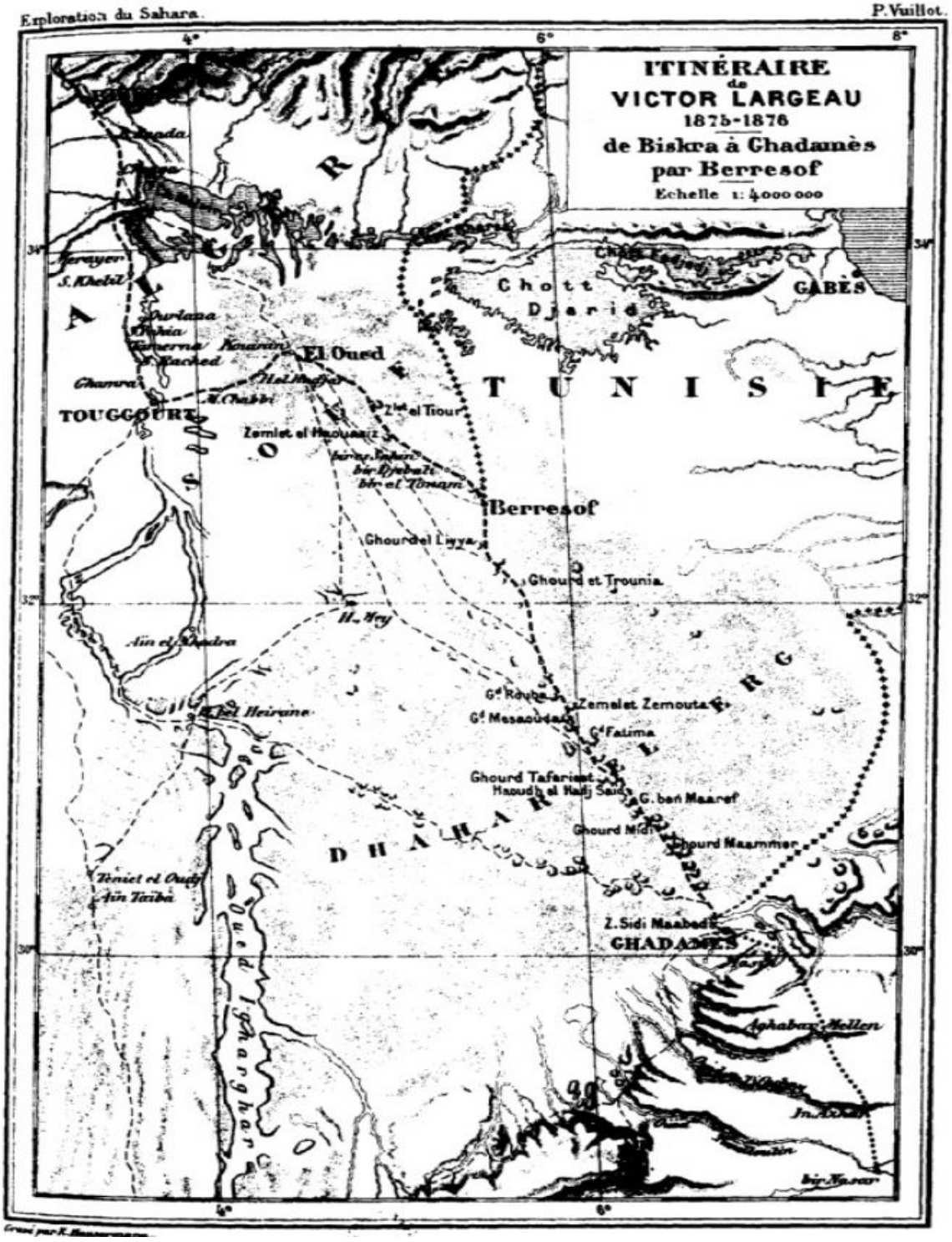
الملحق 03: رحلة كولونيو وبوران 1860 الى قورارة وأوقروت

المصدر: Paul Vuillot, op.cit, p: 72-73



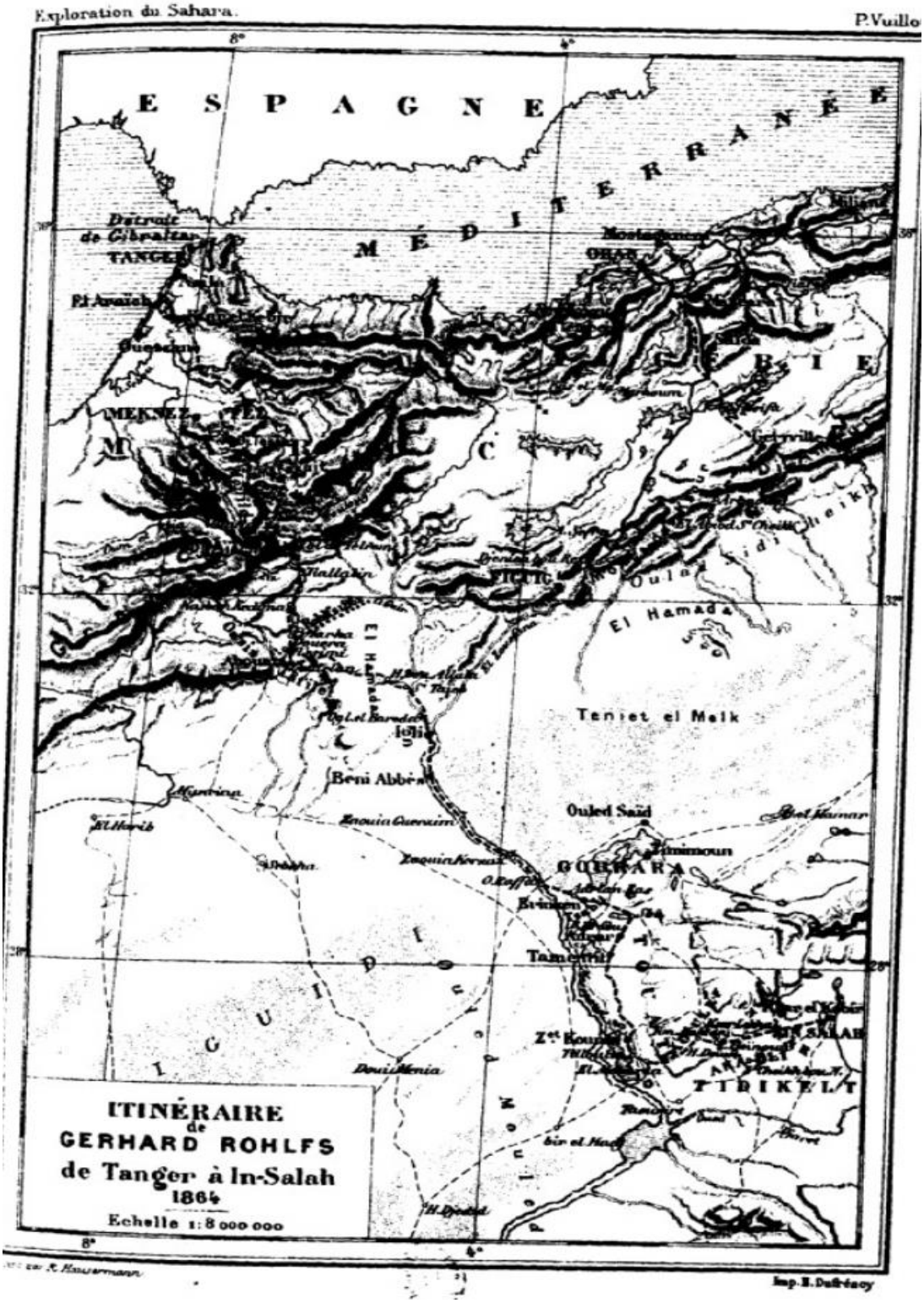
الملحق 04: رحلة جيرارد روهلفس من عين صالح الى طرابلس 1864م.

المصدر: Paul Vuillot, op.cit, p: 106-107



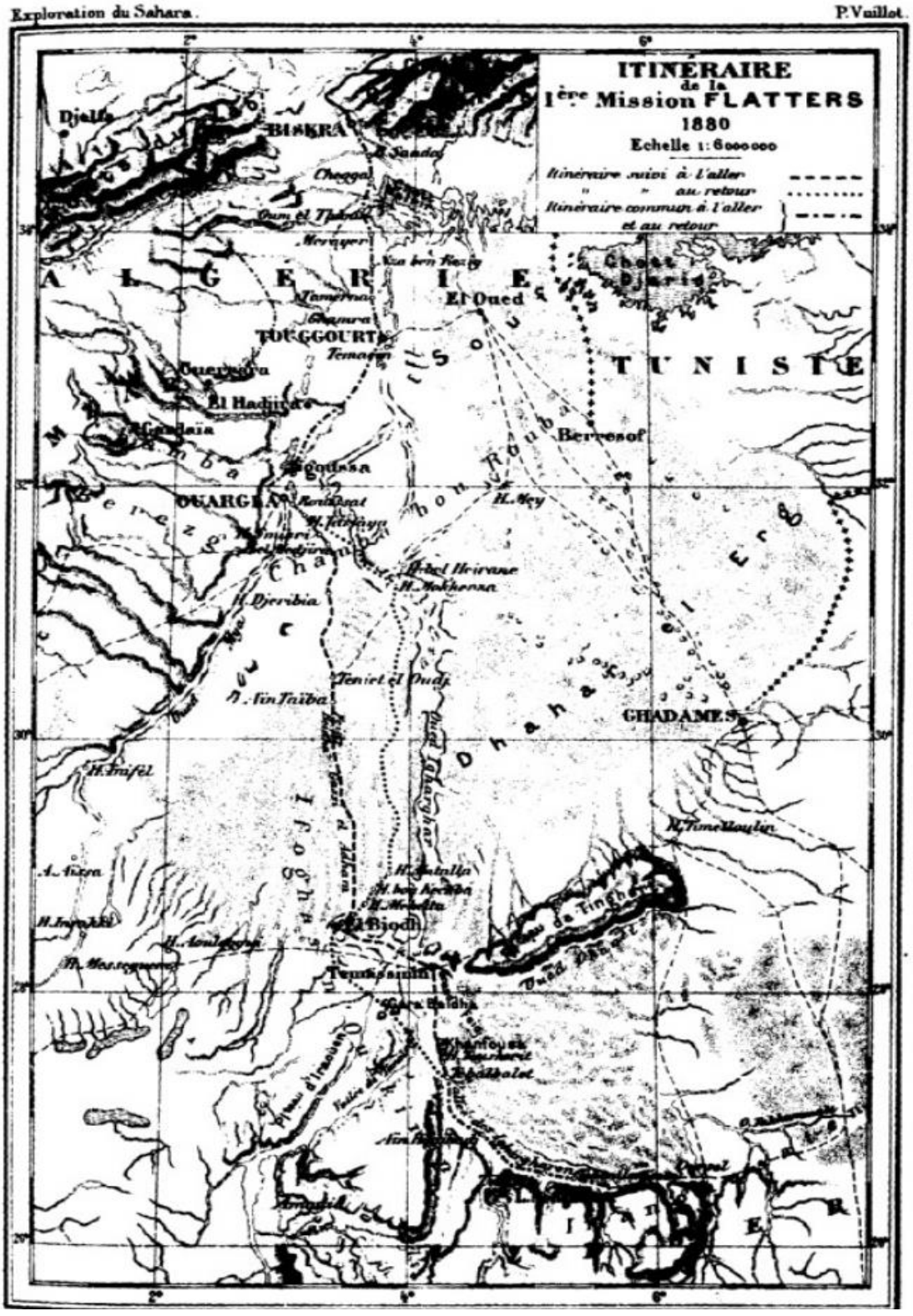
الملحق 05: رحلة لارجو من بسكرة الى غدامس 1876م

المصدر: Paul Vuillot, op.cit, p: 136-137



الملحق 06: رحلة جيرارد روهولفس من طنجة الى عين صالح 1864م

المصدر: Paul Vuillot, op.cit, p: 100-101



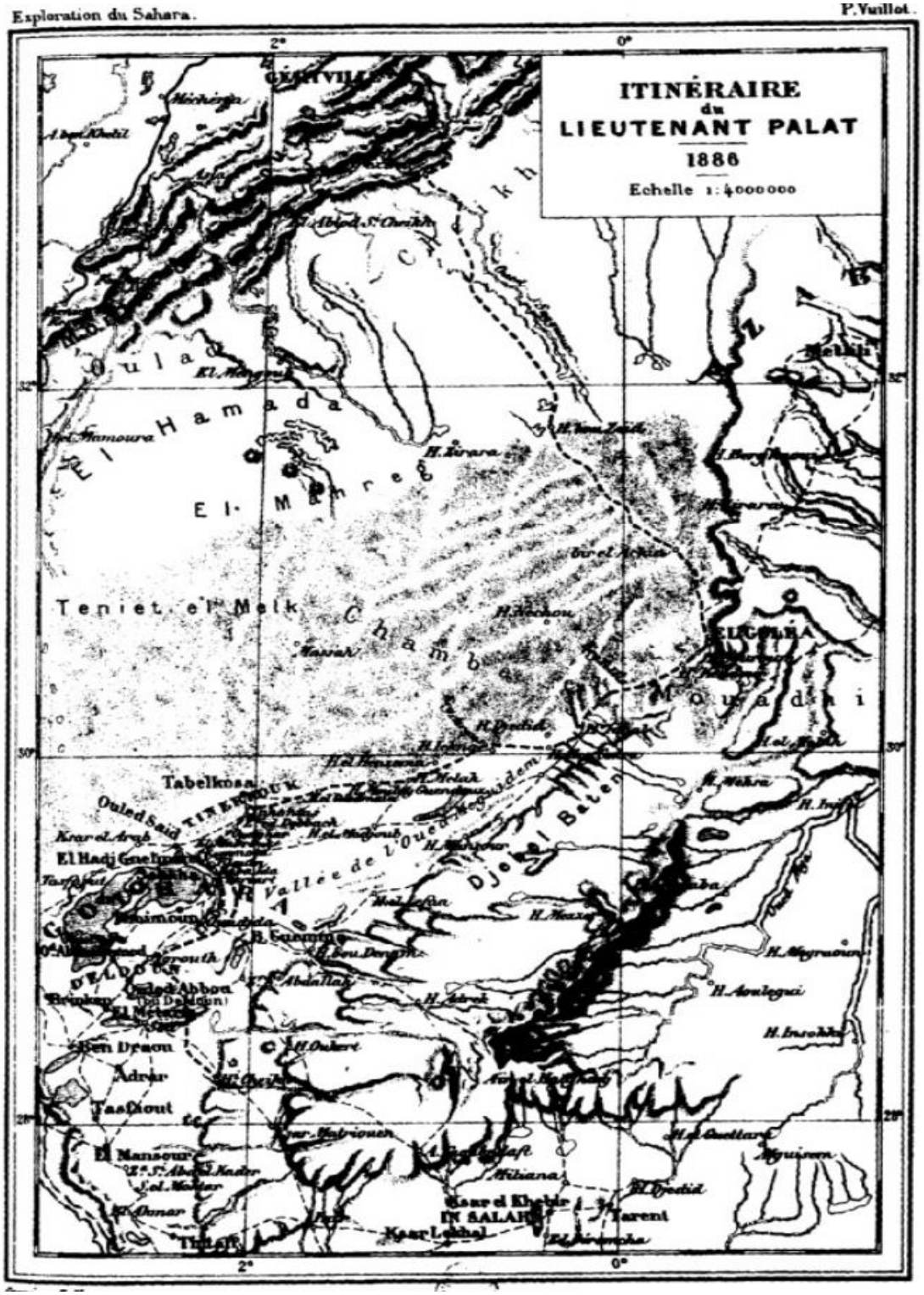
الملحق 07: رحلة بعثة فلاترس الأولى 1880م

المصدر: Paul Vuillot, op.cit, p-p: 180-181.



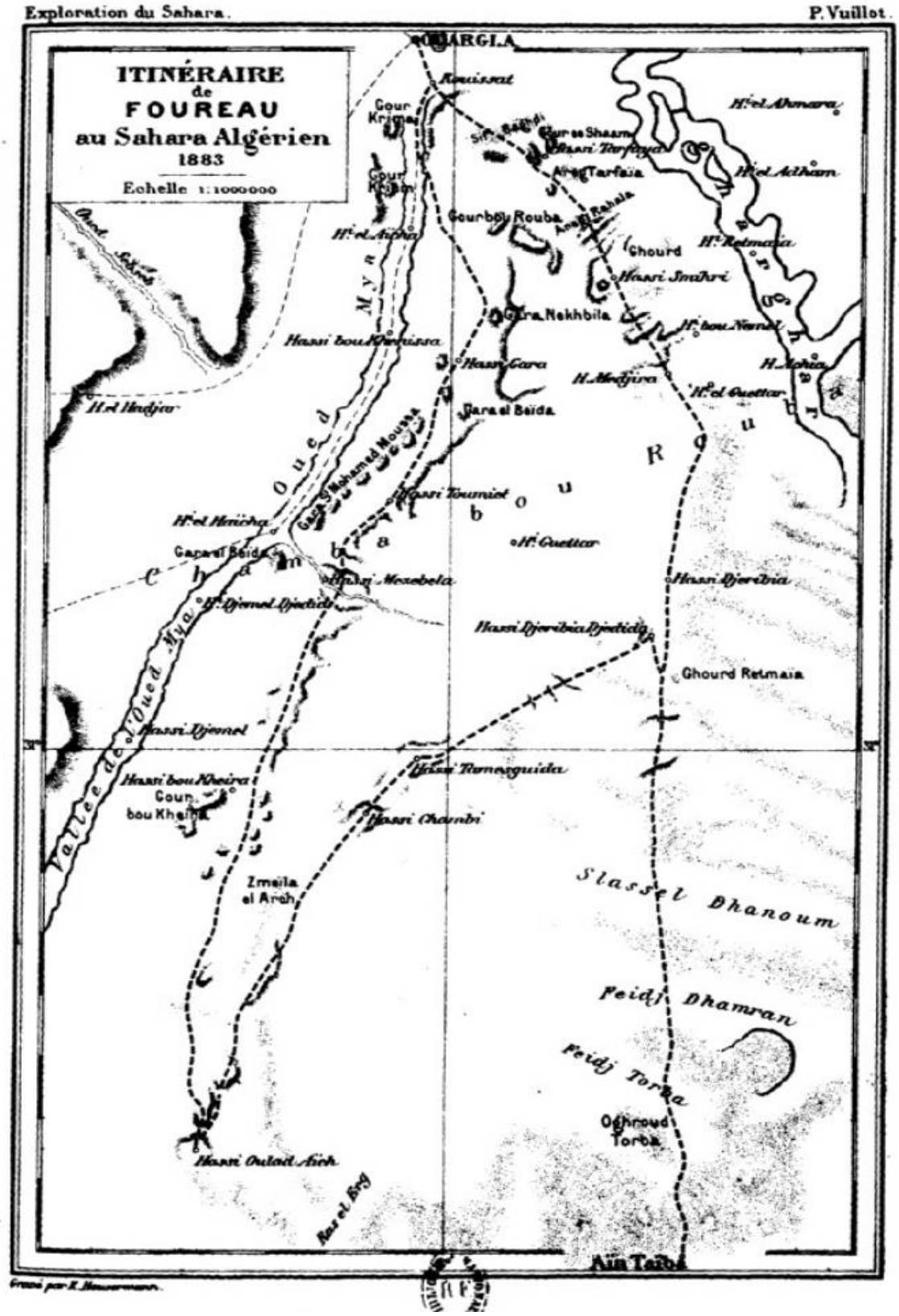
الملحق 08: بعثة فلاترس الثانية 1881م

المصدر: Paul Vuillot, op.cit, p: 179-196



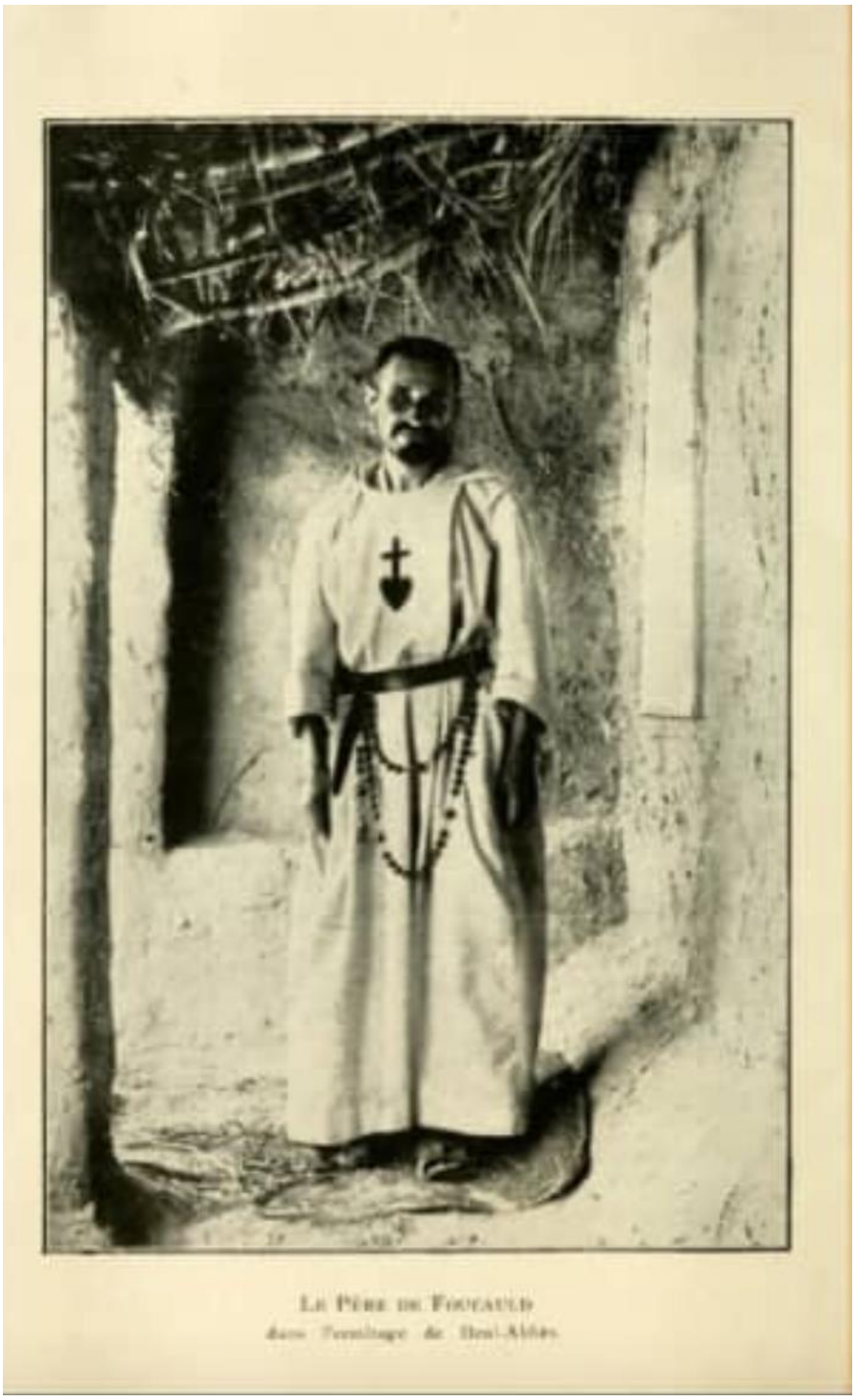
الملحق 09: رحلة الملازم بالات 1886م

المصدر: Paul Vuillot, op.cit,p,p: 226, 227.



الملحق 10: خط سير رحلة فورو 1883م

المصدر: Paul Vuillot, op.cit, p, p: 216, 217



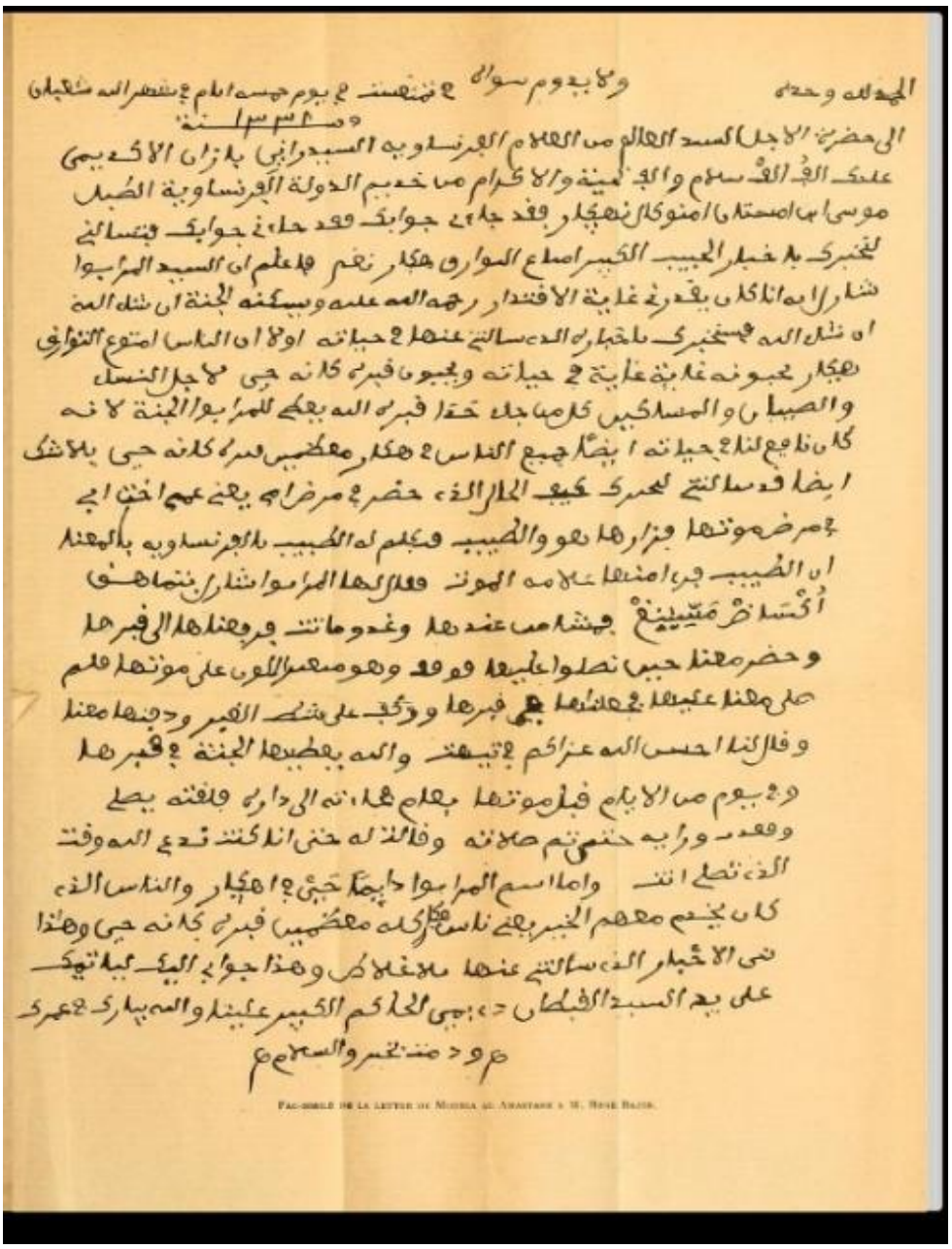
الملحق 11: شارل دو فوكو

المصدر: René bazin, op.cit, p: 01



الملحق 12: دو فوكو رفقة الجنرال لابرين

المصدر: https://www.guer-coetquidan-broceliande.fr/livretxt/chap160.html



الملحق 13: رسالة تعزية بعث بها الامينوكال موسى آق آمستان الى عائلة شارل دو فوكو بعد مقتله

المصدر: Rene bazin , charles de foucauld ; op,cit, p : 405

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

❖ المصادر والمراجع باللغة العربية:

- **المصادر:**

1- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ديوان المبتدأ والخبر، ط :01، دار الإمام مالك، الجزائر، 2022.

2- السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، طبعه هودس، مطبعة أمريكا والشرق، باريس، فرنسا، 1981.

3- الوزان حسن، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط:03، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1982، ج: 2.

4- دوفوكو شارل، التعرف على المغرب 1883-1884، ترجمة: المختار بالعربي، ط :01، دار الثقافة، المغرب الأقصى (الدار البيضاء)، 1999، ج:1.

5- دي دوماس، الصحراء الجزائرية، ترجمة: قندوز عباس فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر1954، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر.

- **المراجع باللّغة العربية:**

1- الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

2- العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

3- بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، منشورات دحلب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2013.

4- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، دار المعرفة، الجزائر، ج: 1.

5- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

6- بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، ويليه الاستعمار الأوروبي الحديث في افريقيا وآسيا وجزر المحيطات، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

7- بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشرو العشرين الميلاديين، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

8- بولغيث محمد الأمين، تاريخ الجزائر المعاصر،دراسات ووثائق، ط: 04، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر.

9- حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر، طبيعية بشرية اقتصادية، ط: 02، 1967.

10- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1998، ج: 6.

11- سلاّم صادق، فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية 1895-2005، ترجمة: زهيدة درويش جبور، ط :01، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2012.

12- شريط عبد الله محمد، الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط:01، طبع ونشر مكتبة الشعب، الجزائر، 1965.

13- عمورة عمار،الموجز في تاريخ الجزائر، ط:01، د ار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

14- عميراوي احميدة واخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية من 1844-1916، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2009.

15- غيرستر جورج، الصحراء الكبرى ارض الغد المشرقة للجزائر العربية، ترجمة: خيري حمّاد، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

16- فيرو ريمون، الصحراء الكبرى، ترجمة: جمال الدناصوري، مراجعة: نصري شكري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963.

17- مياسي إبراهيم، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، مطبعة رويبة، 1996.

18- مياسي إبراهيم، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013

- **الدوريات:**

1- العايب زهراء،" القسم الغربي لصحراء المغرب الأوسط في كتابات الجغرافيا والرحالة من القرن الرابع الى نهاية القرن الثامن الهجريين (العاشر الى الرابع عشر الميلاديين)"، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة بشار، المجلد: 09، العدد: 18، (01 جوان 2023).

2- بليل محمد، " مقاومة الجزائريين لسياسة التوسع الاستعماري بالجنوب الشرقي للجزائر 1850-1918 من خلال وثائق ارشيفية "، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة تيارت، العدد: 20، (2017).

3- بن صحراوي كمال،" حركة التنصير في الجنوب الجزائري شارل دو فوكو انموذجاً " جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد: 03، العدد: 01، (يناير 2020).

4- بو سعيد احمد، " الخطاب الاستعماري في المجال الديني بالجنوب الجزائري أهدافه وقنواته "، مجلة آفاق علمية، جامعة ادرار، المجلد 12: العدد: 01، (2020).

5- بوعمران الشيخ،" شارل دو فوكو في تامنغست 1905-1916 " مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر، العدد :76، (السنة 13 ،1983).

6- دين قادة،" أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر التاريخية "، قضايا تاريخية، جامعة الجزائر، العدد :07، (1439هـ / 2017).

7- عمراوي ليندة، "شارل دو فوكو في الجنوب الغربي للجزائر المهمة المزدوجة 1901/10/28-1905/05/03"، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة بشار، المجلد: 08، العدد: 02، (2022).

8- هقاري محمد، "دور سكان منطقة ازجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي اثناء الحرب العالمية الأولى"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تامنغست، العدد: 24، (2016).

- **الرسائل الجامعية:**

1- سميرة دعاشي، الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وافريقيا الغربية ما بين 1850-1945، رسالة الماجستير، جامعة غرداية، 2015.

2- قريتلي حميد، السياسة الإسلامية الفرنسية في الجزائر 1870-1914، شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)، 2020

❖ **المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:**

- **المصادر:**

1- Bazin René, Charles de Foucauld, explorateur du Maroc-Ermite Au sahara, librairie,plon-plon nourrit et Cie Editeurs, Paris,1921.

2- Bissuel Henri , le sahara francais,Adolphe Jourdan librairie,Editeur, Alger 1891.

3- Brosselard Henri,les deux missions Flatters au pays des Touareg du nord Azdjer et Hoggar, Editeur Bouvet, Paris.

4- Casajus Dominique,Pondolfi,Chales de Foucauld est un homme de son temps,le monde.Fr,afriqu, le 16 Juillet 2020 a1800,Modifié le 18 Juillet 2020 a14h17.

5- Duveyrier Henri ,exploration du sahara les touareg du nord,Challamel Ainé, librairie,Editeur,Paris,1864.

6- Faber Léon, voyage dans le pays des Trarzas et dans le sahara occidental ,Smithsonian,libraries.

7- Germain José et Faye Stéphane,le général Lapperine,1931, librairie Plon,Paris.

8- Largeau -M-V1874-1878,le sahara Algerien,Biskra,Touggourt,Rhadames,le souf,Ouargla,Editeur, le tour du monde.

9- Le chatelier Alfred, KUESTIONS SAHARIENNES ,touat, chaamba,touareg, mission dans le sud Algérien,Juin-Aout 1890,librairie de l université de Michigan.

10- Lettres du père Charles du Foucauld a monsieur René Basset,Article de revue,2002,N=19-20,pp 175-290, lettres N 10,Tamanrasset le 13Juillet 1908,SHS,Cairn .info rev.

11- Narcisse, le livre d'or de l'Algérie,Tom1,Challamel et ces Editeurs,librairie Algérienne et coloniale,Paris,1889.

12- Six Jean Francois,Charles de Foucauld, lettres et carnets,Editions du Seuil,1966.

13- Vuillot Paul, léxploration du sahara,Augustin Calla,et éditeur,Paris,1895.

- **المواقع الإلكترونية:**

https://fr.wikipedia.org/wiki/%C3%89douard_Blanc%D8%8C

https://en.wikipedia.org/wiki/Oskar_Lenz

https://fr.wikipedia.org/wiki/Victor_Colonieu

https://fr.wikipedia.org/wiki/Fr%C3%A9d%C3%A9ric_Cailliaud

https://fr.wikipedia.org/wiki/Ren%C3%A9_Cailli%C3%A9

https://fr.wikipedia.org/wiki/Adolphe_Duponchel

https://fr.wikipedia.org/wiki/Paul_Soleillet

https://fr.wikipedia.org/wiki/Auguste_Pomel%D8%8C

https://fr.wikipedia.org/wiki/Justin_Pouyanne%D8%8C

https://fr.wikipedia.org/wiki/Auguste_Choisy
https://fr.wikipedia.org/wiki/Georges_Rolland_(g%C3%A9ologue
https://fr.wikipedia.org/wiki/Charles_Lavigerie
،https://en.wikipedia.org/wiki/Pierre_M._Lapie
https://fr.wikipedia.org/wiki/Heinrich_Barth
https://fr.wikipedia.org/wiki/James_Richardson_(explorateur)
https://fr.wikipedia.org/wiki/Adolf_Overweg
https://fr.wikipedia.org/wiki/Eduard_Vogel
https://fr.wikipedia.org/wiki/Louis_de_Colomb
https://fr.wikipedia.org/wiki/Fran%C3%A7ois_Louis_Alfred_Durrieu
https://fr.wikipedia.org/wiki/Henri_Duveyrier
https://en.wikipedia.org/wiki/Hippolyte_Mircher
https://en.wikipedia.org/wiki/Ludovic_de_Polignac
https://en.wikipedia.org/wiki/Jean-Joseph-L%C3%A9andre_Barg%C3%A8s
https://fr.wikipedia.org/wiki/Friedrich_Gerhard_Rohlfs
https://fr.wikipedia.org/wiki/Paul_Flatters
https://fr.wikipedia.org/wiki/Erwin_von_Bary
https://labibliothequemondialeducheval.org/bmdc/biobiblio/doc/pddn_p.BMC_4370.ht
https://fr.wikipedia.org/wiki/Camille_Douls
https://fr.wikipedia.org/wiki/Mission_Foureau-Lamy
https://fr.wikipedia.org/wiki/Victor_Largeau
https://mail.google.com/mail/u/0/#inbox/FMfcgzQZVJzwqMGrrnnmWmrwcKcQkgSD?projector=1&messagePartId=0.1
https://fr.wikipedia.org/wiki/Hubert_Lyautey
https://fr.wikipedia.org/wiki/Fran%C3%A7ois_Achille_Thomassin
https://fr.wikipedia.org/wiki/Maurice_Eug%C3%A8ne_Fran%C3%A7ois_Baumgarten
https://www.persee.fr/authority/175168

https://fr.wikipedia.org/wiki/%C3%89douard_Laferri%C3%A8re

https://fr.wikipedia.org/wiki/Fr%C3%A9d%C3%A9ric_Menestrel

https://fr.wikipedia.org/wiki/Fran%C3%A7ois-Henry_Laperrine

https://fr.wikipedia.org/wiki/Ferdinand_de_Lesseps

الفهرس

شكر عرفان.....3
إهداء.....4
مقدمة.....5
مدخل الصحراء الجزائرية والاهتمام الأوروبي 13
تعريف الصحراء 14
الاهتمام الأوروبي بالصحراء 17
الطرق التجارية بالصحراء الجزائرية.....19
الأسواق والقوافل بالصحراوية الجزائرية.....23
أهم البعثات الأوروبية بالصحراء الجزائرية.....27
الفصل الأول الحملات الفرنسية على الصحراء الجزائرية 29
دوافع الحملات الفرنسية على الصحراء الجزائرية 30
رواد الحملات الاستكشافية الفرنسية بالصحراء الجزائرية 34
موقف السكان المحليين من الحملات الاستكشافية 52
تعاون الأهالي مع البعثات الفرنسية 61
المشاريع الكبرى التي جلبت اهتمام الفرنسيين بالصحراء الجزائرية 66
الفصل الثاني رحلات شارل دو فوكو بالصحراء الجزائرية 75
التعريف بشارل دو فوكو 76
رحلاته 79
رحلته الى المغرب 79
رحلاته بالصحراء الجزائرية.....83
رحلته الى بني عباس 83
رحلته الى الهقار 84
مشروع دو فكو بالجنوب الجزائري.....87
وفاة شارل دو فوكو.....94
خاتمة 104
الملاحق 108
قائمة المصادر والمراجع 121

الفهرس 129